مختصر

جِلاءُ الأفْهَامِ

في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٦٩١-٧٥١)

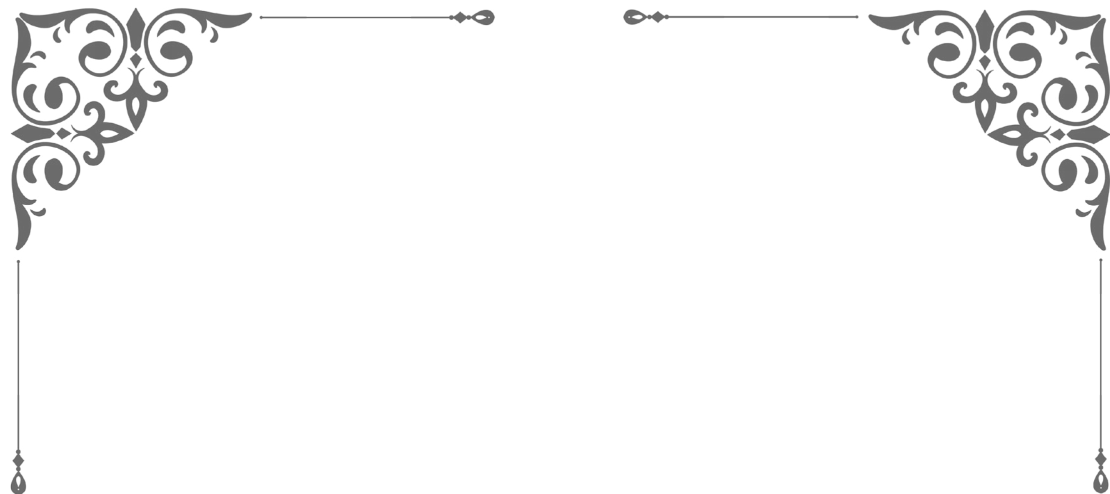
اختصره

د. خالد بن مطلق بن عبد الله المطلق

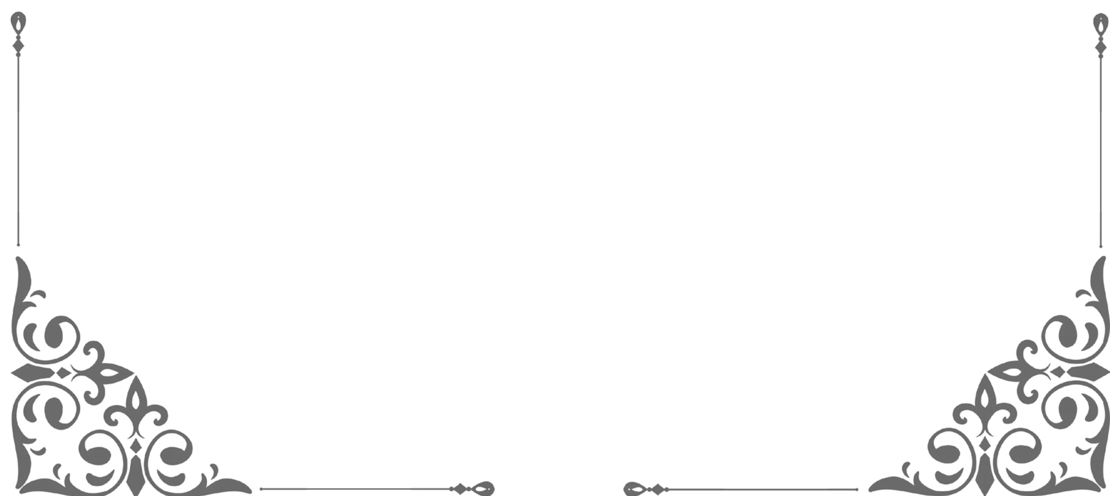
القاضي بمحكمة الاستئناف بالرياض

الطبعة الثالثة

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م



بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

الحمد لله، وبعد:

فقد نظرت في اختصار الشيخ: خالد بن مطلق المطلق قاضي المحكمة العامة في المدينة النبوية لكتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، فوجدته اختصاراً مفيداً؛ حيث اقتصر على ما تمس الحاجة إليه مما ساقه ابن القيم في هذا الكتاب، فجزاه الله خيراً على ما قام به من هذا المجهود العلمي.

وصلى الله سلم على نبينا محمد وآله وصحبه..

كتبه

صالح بن فوزان الفوزن

عضو هيئة كبار العلماء

٢٨/٥/١٤٢٩هـ

تقديم

الحمـد لله رب العالميـن، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبياء والمرسـلين نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين... أما بعد:

فقد اطلعت على المختصر النافع الموسـوم «**بمختصر جـلاء الأفهـام في فضل الصلاة والسـلام علـى محمد خير الأنـام**» للإمام ابـن قيم الجوزيـة، والذي اختصـره فضيلة الشـيخ خالد بـن مطلق المطلق القاضـي بالمحكمة العامة بالمدينـة المنورة، فألفيته قد جمـع فأوعى واختصر فأوفى، جمع من النصوص ما افترق، مما تناسـب واتسـق، واختار عيون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في باب من أبواب الخيـر العميم، بـاب تعظيم النبـي ﷺ وتميزه عن غيـره من أنبياء الله ورسـله عند ذكره؛ رفعـًا لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد وفاته.

ولهذا: فقد جاء المختصر، جليسًا لصاحبه في الحضر، وأنيسًا له في السفر، اختار المؤلف في مختصره هذا منتخبات ابن قيم الجوزية ما يناسب المقام وأتى فيما استقاه لمختصره الثمين بيوت الكلام من أبوابها.

فجزى الله المؤلف خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة وأكثر أمثاله.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾، [سورة الحديد:٢١].

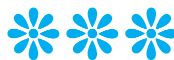
﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة البقرة:٢٦٩].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين...

كتبه

أ. د. محمد بن علي العقلا

مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً



تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه. وبعد.. فإنَّ من الطاعات العظيمة والقُرَب الجليلة الإكثارَ من الصلاة والسلام على نبي الله المصطفى وخليله المجتبى محمد بن عبدالله إمام المتقين، وقدوة الموحدين، وقائد الغر المحجلين، وسيد ولد آدم أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين وذكراً للغافلين: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة الطلاق: آية ١٠-١١] فبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وجعله قسيم الجنة والنار، وفرق ما بين الأبرار والفجار، بعثه الله بالهدى القويم، والصراط المستقيم، والرسالة السمحة، فأشرقت برسالته الأرض بعد دامس

ظلماتها، وتألفت بها القلوب بعد داحس شتاتها، اختاره ربه واجتباه، وجعله خليله ومصطفاه، وسدَّ إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، بشر وأنذر، ورغب وحذر، وأبان وأعذر، وما ترك خيراً إلا دلّ الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه والصالحون من عباده عليه وسلم تسليمًا كثيراً.

ولا غرو أن تكون الصلاة والسلام عليه طاعة زاكية وعبادة عظيمة يحبها الربُّ ويرضاها، فأمر بها عباده في كتابه بعد أن بدأ ذلك بنفسه وثنى فيه بملائكته المسبحة بقدسه، فقال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥٦]. وهي حقٌّ من حقوقه على أمته، والبخيل من أمته من بخل بالصلاة والسلام عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأولى أمته به أكثرهم صلاةً عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

هـذا وقد كتب غيـر واحد من أهل العلـم في هذا الباب الشـريف والمطلـب المنيـف كتابـات عديـدة مختصـرة ومطولـة، وكان من أغزرها فائدة وأوسـعها أثـراً وعائدة، كتاب: «**جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسـلام على محمد خير الأنام**»، للعلامة الإمام والمحقق الهمام محمد بن أبي بكـر ابن قيم الجوزيـة رحمه الله وغفر لـه ورفع درجته في عليين، وهو كتاب فريد في بابه، لم يؤلف في موضوعه قبله بشـهادة جمع من الأكابر؛ بل قال هو نفسـه معرفاً بما فيه، ذاكراً نعمة الله ومنته عليه: «هو كتاب فرد في معناه لم أسـبق إلى مثله في كثرة فوائدة وغزارتها».

ولما كان هذا الكتاب المسـتطاب قـد تضعف كثير من الهمـم عن ختمـه والمرور عليـه، وفيه من الفوائـد ما يهم ذوي الاختصاص من أهل العلـم وطلابه، وكانت الحاجة ماسـة لعموم المسـلمين للوقوف على جملة فوائده وبديع

فرائده وجميل تحفه وقلائده، وُجِدَتْ هذه الرغبة في إخراج هذا المختصر المفيد لدى الشيخ الفاضل خالد بن مطلق المطلق أثابه الله وجزاه خير الجزاء على حسن مسعاه وطيب مبتغاه وكريم رغبته، وأحسب أن جهده هذا مفيد في غايته ومقصوده، وهو نوع من التعاون على هذا البر العظيم المتعلق بقدوتنا الأمين ورسولنا الكريم ﷺ، وقد منّ الله عليّ بالوقوف على طرف من عمله فيه، جعل الله الخير حليفه ومعاذه من الشر وخوافيه.

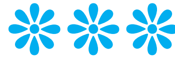
وأسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، وأن يتقبل من صاحب الأصل وصاحب المختصر ومنا أجمعين صالح أعمالنا وسديد أقوالنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم.

وصلى الله على عبدالله ورســولـه نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه.

وكتبه

د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

في يوم عاشوراء من عام ثمانية وعشرين وأربعمائه وألف



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم ارض عن الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، أمَّا بعد:

فإنّ نعَمَ - الله تعالى - على عباده كثيرةٌ لا تحُصى، وأعظمُ نعمة أنعم الله بها على الثقلين: الجنِّ والإنس أن بعث فيهم عبدَه، ورسوله، وخليله، وحبيبه، وخيرته من خلقه، محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخرجهم به من الظلمات إلى

النور، وينقلهم مـن ذل العبودية للمخلوق إلى عز العبودية للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرشـدهم إلى سـبيل النجاة والسعادة، ويحذرهـم من سـبل الهـلاك والشـقاوة، أرسـله بين يدي الساعة بشـيراً ونذيراً، وداعيـاً إلى الله بإذنه وسراجـاً منيراً، فهدى به مـن الضلالة، وبصّر به من العمى، وأرشـد به من الغـيِّ، وفتح به أعينـاً عمياً، وآذانـاً صمّـاً، وقلوبـاً غلفـاً، وقد قام - عليه أفضل الصلاة والسـلام - بإبلاغ الرسـالة، وأداء الأمانة، والنصح للأمة على التمام والكمال.

«وقد نوه الله بهذه النعمة العظيمة، والمنة الجسيمة في كتابه العزيز فقـال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران الآية ١٦٤].

وإنما كان إرساله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة أعظم منة امتن بها على عباده؛ لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه

منهم من العذاب السرمدي، وذلك بسبب الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل ما يوجب دخول النار والخلود فيها»[(١)].

ولما كانت نعمة الله - تعالى - على المؤمنين بإرسال رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم عظيمة أمرهم الله - تعالى - في كتابه العزيز أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً، بعد أن أخبرهم أنّه وملائكته يصلون على النبي فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب الآية ٥٦].

فهذه الآية فيها تعظيم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره، ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.

(١) بتصرف: كتاب أخلاق الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعلامة عبدالمحسن العباد البدر.

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ محبة له وأداء لحقه وتعظيمًا لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببًا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.

إن محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التوبة الآية ٢٤].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا قرع الله من كان ماله وأهله وولده، أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)[1].

ومن لوازم محبته وشكره ونصرته كثرة الصلاة والسلام عليه.

وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة - أي الصلاة عليه - فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع، ومن أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب **(جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام)**، للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل هو أشهرها وأحسنها.

---

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى (٢/ ١٨).

قـال ابن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هـذا الكتـاب في زاد المعاد: (هـو كتـاب فرد في معناه لم أسـبق إلى مثلـه في كثرة فوائده وغزارتهـا)، وقال أيضـًا في الزاد: (أتينا فيه مـن الفوائد بما يساوي أدناه رحلة مما لا يوجد في غيره)

وقال السـخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي الجملة فأحسنها وأكثرها فوائد خامسها) يقصد الكتاب المذكور.

وبمـا أن للنبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقوقـًا كثيـرة علـى أمته، ومـن تلك الحقوق الصلاة والسـلام عليـه، وأن بيان ذلك للمسـلمين يعتـبر مـن النصرة، رأيـت أن اختصـر الكتاب العظيـم في بابه (جلاء الأفهام) المذكور آنفًا؛ ليسـهل على الجميع الاطلاع عليه ومن ثم العمل بمضمونه.

وعملي المتواضع في ذلك يكمن فيما يلي:

١. الاقتصار على ما تمس الحاجة إليه من الأحاديث والمباحث.

٢. عدم ذكر المسائل الخلافية سواء فقهية أم لغوية والاكتفاء بالقول الراجح في ذلك عند ابن القيم.

٣. عدم ذكر الفصل السابع من الباب الثاني المتضمن: في ذكر نكتة حسنة في الحديث المطلوب فيه الصلاة عليه وعلى آله كما صلى على إبراهيم فقط ولم يجمع بينهما في حديث واحد!؛ بل ورد حديث بذلك موجود في هذا المختصر برقم (٩)، وبذلك انتفت النكتة.

وأسال الله التوفيق والإخلاص في القول والعمل وأشكره سبحانه شكراً يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

وهذا جهد العبد الفقير إلى ربه فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من تقصير فمن نفسي وأستغفر الله.

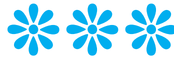
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

خالد بن مطلق بن عبد الله المطلق

القاضي بمحكمة الاستئناف بالرياض

Khaled.Almutlaq@gmail.com

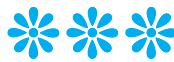


تقديم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل الله؛ فما له من هاد، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وأفضل رسله -محمد-، المبعوث للناس كافة بالهدى، والرحمة، وسعادة الدنيا والآخرة، لمن آمن به، وأحبه، واتبع سبيله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله، وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي ابن قيم الحنبلي إمام الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا كتاب سميته **«جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»**.

وهو كتاب فرد في معناه، لم يسبق إلى مثله في كثرة فوائده، وغزارتها، بينّا فيه الأحاديث الواردة في الصلاة والسلام عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحيحها من حسنها ومعلولها، وبينّا ما في معلولها من العلل بيانًا شافيًا، ثم أسرار هذا الدعاء وشرفه، وما اشتمل عليه من الحِكَمِ والفوائد، ثم مواطن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحالها، ثم الكلام في مقدار الواجب منها، واختلاف أهل العلم فيه، وترجيح الراجح وتزييف المزيَّف، ومخْبَرُ الكتاب فوق وصفه، والحمد لله رب العالمين(١).



(١) هذه مقدمة المؤلف في الأصل، وقد جرى الاختصار حسب ما ذكرته في مقدمتي.

الباب الأول

ما جاء في الصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتانا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن في مجلس سعد بن عباده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال له بشير بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: (**قولوا اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، والسلام كما قد علمتم**) رواه مسلم وغيره.

ولأحمد في لفظ آخر (نحوه) «**فكيف نصلي عليك إذا صلينا في صلاتنا؟**».

﴿ ٢ ﴾

وعـن ابن أبي ليلـى قال: لقيني كعب بـن عُجره، فقال: ألا أهـدي لـك هدية؟ خـرج علينا رسـول الله ﷺ فقلنـا: قد عرفنا كيف نسـلم عليك، فكيـف نصلي عليك؟ قال: **(قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمـد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)**. متفق عليه.

﴿ ٣ ﴾

ولـه حديـث آخـر رواه الحاكـم في «المسـتدرك» عن كعـب بن عُجره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسـول الله ﷺ: **(احضـروا)**، فحضرنا؛ فلمـا ارتقى الدرجة قـال: **(آمين)**، ثـم ارتقى الدرجة الثانية، فقال: **(آميـن)**، ثم ارتقى الدرجة

الثالثة، فقال: (آمين)، فلما فرغ نزل عن المنبر، فقلنا: يا رسول الله! لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنا نسمعه! فقال: (إن جبريل عرض لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له! فقلت: (آمين)، فلما رقيت الثانية، قال: بَعُدَ من ذكرت عنده فلم يصل عليك! فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بَعُدَ من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة! فقلت: آمين) قال الحاكم: صحيح الإسناد.



عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) متفق عليه.

٥

عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلنا: يارسول الله! هذا هو السـلام عليك عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: **(قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت علـى إبراهيم، وبارك على محمـد وآل محمد، كما باركت على آل إبراهيم)** رواه البخاري.

٦

عن موسـى بن طلحـة عن أبيه قال: قلت: يارسـول الله كيـف الصلاة عليـك؟ قال: **(قل: اللهم صـل على محمد، وعلـى آل محمـد، كما صليت علـى إبراهيـم، إنك حميد مجيد، وبـارك على محمد، وعلـى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)** صحيح. رواه أحمد.

﴿ ٧ ﴾

عن عبدالحميد بن عبدالرحمن أنه دعا موسى بن طلحه حين عرَّس على ابنه، فقال: يا أبا عيسى! كيف بلغك في الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال موسى: سألت زيد بن خارجة، فقال: أنا سألت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف الصلاة عليك؟ فقال: **(صلوا واجتهدوا، ثم قولوا: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)** صحيح. رواه أحمد والنسائي.

﴿ ٨ ﴾

عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي)** حديث حسن صحيح غريب قاله الترمذي ورواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك.

﴿ ٩ ﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف نصلي عليك؟ قال: **(قولوا اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم)**. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين، رواه عبدالوهاب بن منده عن الخفاف عنه.

﴿ ١٠ ﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله تعالى، ولم يصلوا على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا كان مجلسهم عليهم تِرَة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء آخذهم)**. رواه الترمذي وقال

فيه: حديث حسن. ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه وهو على شرط مسلم ورواه ابن حبان أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: (**ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه، ويصلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**). وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

١١

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي! ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له! ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة!**) رواه الترمذي بإسناد حسن.

﴿ ١٢ ﴾

عن أبـي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: (من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً). رواه مسلم.

﴿ ١٣ ﴾

عن أبـي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وليقـل اللهم افتح لي أبـواب رحمتك، فإذا خرج فليسـلم على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وليقل: اللهم أجرني من الشـيطان).

رواه ابن خزيمة في صحيحه ورواه ابن حبان في صحيحه.

﴿ ١٤ ﴾

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: (ما من مسـلم يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد إليه

السلام) أخرجه أحمد وأبو داود[1].

﴿ ١٥ ﴾

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة)** أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن غريب ورواه ابن حبان في صحيحه.

﴿ ١٦ ﴾

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام)** وهذا إسناده صحيح. أخرجه النسائي وابن حبان.

---

(١) وهو صحيح، المقاصد الحسنة من بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي (١/ ١٩٧) الحديث [٩٨٤].

﴿ ١٧ ﴾

عـن عمـرو بـن مالـك الجَنْبـيّ – أنـه سـمع فَضَالَة بن عُبَيد–صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجـلاً يدعو في صلاته لـم يحمد الله ولم يصل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(عَجِلَ هذا)**، ثم دعـاه، فقال لـه أو لغيره: **(إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يُصلِّي على النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ثم يدعو بعد بما شاء)** رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي والترمذي، وقال: حديث صحيح. و رواه ابن خزيمه وابن حبان في صحيحيهما.

﴿ ١٨ ﴾

عن أبي طلحه الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أصبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومـًا طيب النفس يرى في وجهه البشـر، قالوا:

يا رسـول الله! أصبحت اليوم طيـب النفس يرى في وجهك البشر! قال: (أجل، أتاني آت من ربي عَزَّوَجَلَّ، فقال: من صلى عليـك من أمتك صلاة كتب الله بها عشـر حسـنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشـر درجات، ورد عليه مثلها) أخرجه أحمد وغيره[1].

۱۹

عـن عبـدالله بن عامر بـن ربيعه عـن أبيه قال: سـمعت رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطـب، ويقول: (مـن صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليَّ، فلْيُقِلَّ عبد من ذلك، أو يكثر). رواه أحمد وابن ماجة[2].

۲۰

عـن أُبيّ بن كعب قال: «كان رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا

(١) حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢/ ١٣٥) الحديث [١٦٦١].

(٢) قال الترمذي: وهذا الحديث حسن في المتابعة.

ذهب ربع الليل؛ قام، فقال: **(يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه)** -قال أبي بن كعب- قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: **(ما شئت)**، قلت: الربع؟ قال: **(ما شئت وإن زدت فهو خير)**، قلت: النصف؟ قال: **(ما شئت، وإن زدت فهو خير)**، قلت: الثلثين؟ قال: **(ما شئت، وإن زدت فهو خير)**، قال: أجعل لك صلاتي كلها، قال: **(إذاً تُكْفى هَمَّك، ويُغْفَرُ لك ذنبك)**». أخرجه أحمد في المسند وعبد بن حميد في مسنده والحاكم في المستدرك، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وسئل شيخنا أبو العباس ابن تيميه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأُبيّ بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل يجعل له منه ربعه

صلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: (إن زدت فهو خير لك)، فقال له: النصف؟ فقال: (إن زدت فهو خير لك)، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: (إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك)؛ لأن من صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه)، هذا معنى كلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢١

عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ)، قالوا: يا رسول الله! كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرِمْتَ- يعني وقد بَلِيتَ! فقال: (إن الله عَزَّوَجَلَّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة

وابن حبان والحاكم[1].

٢٢

عـن أبـي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال: قال رسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(خيـر يوم طلعت فيه الشـمس يوم الجمعـة، فيه خلق آدم، وفيـه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم السـاعة، وما مـن دابة إلا وهـي مصيخة يوم الجمعة مـن حين تطلع الشـمس، شفقًا من السـاعة إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم، وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)** صحيح أخرجه مالك في الموطأ.

٢٣

عـن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(ما اجتمع قـوم، ثم تفرقوا عن غير ذكـر الله عَزَّوَجَلَّ وصلاة على النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا قامـوا عن أنتـن من جيفـة)**. أخرجه

(١) وهذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قاله الحاكم في المستدرك (ج١/ ص٤١٣)، الحديث [١٠٢٩].

النسائى في سننه الكبير قال أبو عبدالله المقدسي: هذا عندي على شرط مسلم.

٢٤

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله الوسيلة؛ حلت عليه الشفاعة). رواه مسلم وأبو داود.

٢٥

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من صلى عليَّ حين يصبح عشراً، أو حين يمسي عشراً؛ أدركته شفاعتي)[١] رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(١) حديث حسن، قاله الألباني في صحيح الجامع الصغير.

الباب الثاني

في بيان معنى الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصلاة على آله وتفسير الآل

وفيه تسعة فصول:

الفصل الأول

في افتتاح صلاة المصلي بقول: (اللهم) ومعنى ذلك

لا شك أن لفظة اللهم معناها يا الله ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب؛ فلا يقال: اللهمّ غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

والدعاء ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

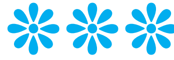
[سورة الأعراف، الآية ١٨٠].

والثاني: أن تسأله بحاجتك وفقرك، وذلِّك، فتقول: أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل المستجير، ونحو ذلك.

والثالث: أن تسأل حاجتك، ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة؛ كان أكمل.

وهذه عامة أدعية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الدعاء الذي علمه صديق الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ذكر الأقسام الثلاثة، فإنه قال في أوله: «**ظلمت نفسي كثيراً**»، وهذا حال السائل، ثم قال: «**وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، وهذا حال المسؤول، ثم قال: «**فاغفر لي**» فذكر حاجته وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحسنى تناسب المطلوب، وتقتضيه، وهذا القول الذي اخترناه، قد جاء عن غير واحد من السلف؛ قال الحسن البصري: «اللهم، مجمع الدعاء»؛ وقال أبورجاء

العطاردي: «إن الميم في قولـه:(اللهم) فيها تسـعة وتسعون اسـمًا من أسـماء الله تعالى»؛ وقال النضر بن شـميل: «من قال: اللهم؛ فقد دعا الله بجميع أسمائه».



الفصل الثاني

في بيان معنى الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

۞ وأصل هذه اللفظة يرجع إلى معنيين:

* **أحدهما:** الدعاء والتبريك.

* **والثاني:** العبادة.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٣] وقوله تعالى - في حق المنافقين -: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة، الآية ٨٤]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا دُعي أحدكم إلى الطعام، فليجب، فإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ)(١)، فُسّر بهما، قيل: (فليدع لهم بالبركة).

وقيل: (يصلي عندهم) بدل أكله.

---

(١) صحيح مسلم.

وقيل: إن (الصلاة) في اللغة معناها الدعاء.

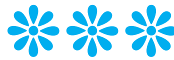
والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والعابد داع، كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [سورة غافر الآية ٦٠].

قيل: أطيعوني أثبكم، وقيل سلوني أعطكم، وفسر بهما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦].

والصواب: أن الدعاء يعم النوعين، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ، الآية ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النحل، الآية ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى

لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ...﴾ [سورة الفرقان، الآية ٧٧]، والصحيح من القولين: لولا أنكم تدعونه وتعبدونه، أي: أي شيء يعبأ بكم لولا عبادتكم إياه، فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [سورة الأعراف، الآيات ٥٥-٥٦]، وقال تعالى- إخباراً عن أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٠]، وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى؛ ودعوى الاختلاف في مسمى الدعاء، وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية، هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازاً شرعيًا.

فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة، وهو الدعـاء، والدعاء دعاء عبادة، ودعاء مسـألة، والمصلي من حين تكبيره إلى سـلامه بين دعاء العبادة، ودعاء المسـألة، فهـو في صـلاة حقيقيـة لا مجازيـة ولا منقولـة لكن خص اسـم الصلاة بهـذه العبـادة المخصوصـة، كسـائر الألفاظ التـي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسـماها، كالدابة، والـرأس، ونحوهمـا، فهذا غاية تخصيـص اللفظ، وقصره علـى بعض موضوعـه، ولهذا لا يوجب نقـلاً ولا خروجـاً عن موضوعه الأصلي.



فصل

هذه صلاة الآدمي

وأما صلاة الله سبحانه فنوعان:

* عامة.

* خاصة.

أما العامة: فهي صلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ...﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٤٣]

ومنه دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة على آحاد المؤمنين؛ كقوله: (اللهم صل على آل أبي أوفى)[١]. وفي حديث آخر: إن امرأة قالت له: (صل علي، وعلى زوجي، قال: صلى الله عليك، وعلى زوجك)[٢].

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه -صلوات الله

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان وغيرهم وإسناده صحيح.

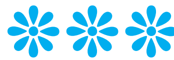
عليهم- ورسله، خصوصاً على خاتمهم وخيرهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ...﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٥٦] قال: يباركون عليه(١).

وهذا لا ينافي تفسيرها بالثناء، وإرادة التكريم والتعظيم؛ فإن التبريك من الله تعالى يتضمن ذلك، ولهذا قرن بين الصلاة عليه والتبريك عليه، وقالت الملائكة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾ [سورة هود، الآية ٧٣] وقال المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ...﴾ [سورة مريم، الآية ٣١] قال غير واحد من السلف: ملماً للخير أينما كنت، وهذا جزء المسمى فالمبارك كثير الخير في نفسه الذي يحصله لغيره تعليماً و إقداراً ونصحاً، وإرادةً، واجتهاداً، ولهذا يكون العبد مباركاً؛ لأن الله بارك فيه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً.

وجعلـه كذلك، والله تعالـى متبارك؛ لأن البركـة كلها منه، فعبـده المبارك، وهـو المتبـارك: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان، الآية ١].



الفصل الثالث

في معنى اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتقاقه

هذا الاسم هو أشهر أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو اسم منقول عن الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود، ومحبته، وإجلاله، وتعظيمه، هذا هو حقيقة الحمد، وبني على زنة (مفعَّل)، مثل معظم، ومحبب، ومسود، ومبجل، ونظائرها؛ لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم فاعل؛ فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة، كمعلم، ومفهم، ومبين، ومخلص، ومفرج، ونحوها، وإن اشتق منه اسم مفعول؛ فمعناه من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى إما استحقاقًا، أو وقوعًا، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى.

ويقال: حُمِّد فهو محمد، كما يقال: عُلِّم فهو معلَّم.

وهذا علم وصفة، اجتمع فيه الأمران في حقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان علمًا محضًا في حق كثير ممن تسمى به غيره.

وهذا شأن أسماء الرب تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء نبيه، هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلميةُ الوصفَ، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، فهو الله، الخالق، البارئ، المصور، القهار، فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته، وكذلك القرآن، والفرقان، والكتاب المبين، وغير ذلك من أسمائه. وكذلك أسماء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (محمد، وأحمد، والماحي)، وفي حديث جبير بن مطعم عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: **(إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر)**[1].

---

(١) (متفق عليه).

فذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسماء؛ مبينًا ما خصه الله تعالى به من الفضل وأشار إلى معانيها، وإلا فلو كانت أعلامًا محضة لا معنى لها؛ لم تدل على مدح، ولهذا قال حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فذو العرش محمود وهذا مُحمَّدُ
وَشَقَّ لـه من اسمه لِيُجِلَّهُ

وكذلك أسماء الرب تعالى، كلها أسماء مدح؛ فلو كانت ألفاظًا مجردة من معاني لها؛ لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف، الآية ١٨٠].

فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال. ولهذا لما سمع بعض العرب قارئًا يقرأ:
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا

مِّنَ ٱللَّهِۗ ...﴾ [سورة المائدة، الآية ٣٨]. والله غفور رحيم؛ قال: ليس هـذا كلام الله تعالى، فقال القارئ: أَتُكذِّب بكلام الله تعالى؟ فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فقال الأعرابي: صدقت: «عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع». ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب، أو بالعكس؛ ظهر تنافر الكلام، وعدم انتظامه.

- وأيضًا - فإنه سبحانه يعلل أحكامه وأفعاله بأسمائه، ولو لم يكن لها معنى، لما كان التعليل صحيحًا، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة نوح، الآية ١٠].

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة البقرة، الآيات ٢٢٦-٢٢٧].

فختم حكم الفيء – الذي هو الرجوع، والعودة إلى رضى الزوجة، والإحسان إليها –بأنه غفور رحيم؛ يعود على عبده بمغفرته، ورحمته إذا رجع إليه

والجزاء من جنس العمل، فكما رجع إلى التي هي أحسن، رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة البقرة،٢٢٧].

فإن الطلاق لما كان لفظًا يسمع ومعنى يقصد، عقبه باسم «السميع» للنطق به، «العليم» بمضمونه.

وهذه طريقة القرآن، يقرن بين أسماء الرجاء، وأسماء المخافة كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة المائدة، الآية ٩٨].

وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فاطر، الآية ٣٤].

لما صاروا إلى كرامته، بمغفرته ذنوبهم وشكره إحسانهم، قالوا: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [سورة فاطر، الآية ٣٤].

وفي هذا معنى التعليل، أي: بمغفرته، وشكره وصلنا إلى دار كرامته، فإنه غفر لنا السيئات، وشكر لنا الحسنات، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٧].

فهذا جزاء لشكرهم، أي: إن شكرتم ربكم؛ شكركم، وهو عليم بشكركم لا يخفى عليه من شكره ممن كفره.

والقرآن مملوء من هذا، والمقصود التنبيه عليه.

- وأيضًا- فإنه سبحانه يستدل بأسمائه على توحيده، ونفي الشريك عنه، ولو كانت الأسماء لا معنى لها؛ لم تدل على ذلك، كقول هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لعبدة العجل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝٩٠﴾ [سورة

طه، الآية ٩٠].

وقوله سبحانه في القصة: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة طه، الآية ٩٨].

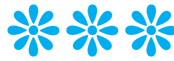
ومن تدبر هذا المعنى في القرآن؛ هبط به على رياض من العلم حماها الله تعالى عن كل أفاك معرض عن كتاب الله، واقتباس الهدى منه، ولو لم يكن في كتابنا هذا إلا هذا الفصل وحده؛ لكفى من له ذوق ومعرفة، والله الموفق للصواب.

-وأيضًا- فإن الله سبحانه يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف، والجار والمجرور، وغيرهما، ولو كانت أعلامًا محضة؛ لم يصح فيها ذلك، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٢].

- وأيضًا- فإنه سبحانه يجعل أسماءه دليلاً على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله، كقوله تعالى: ﴿أَلَا

﴿يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [سورة الملك، الآية ١٤].

وقد اختلف النظار في هذه الأسماء هل هي متباينة؛ نظراً إلى تباين معانيها، وأن كل اسم يدل على معنى غير ما يدل عليه الآخر أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة؛ والتحقيق أن يقال: هي مترادفة بالنظر إلى الذات، متباينة بالنظر إلى الصفات.



فصل

إذا ثبت هذا فتسميته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الاسم لما اشتمل عليه من مسماه، وهو الحمد؛ فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمود عند الله ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وإن كفر به بعضهم؛ فإن ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كل عاقل وإن كابر عقله جحوداً، وعناداً، أو جهلاً باتصافه بها ولو علم اتصافه بها لحمده بها، فإنه يحمد من اتصف بصفات الكمال، ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد له، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختص من مسمى الحمد بما لم يجتمع لغيره؛ فإن اسمه محمد وأحمد، وأمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء، وصلاته وصلاة أمته مفتتحة بالحمد، وخطبته مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد، هكذا كان عند الله تعالى في

اللـوح المحفوظ أن خلفـاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحـًا بالحمد، وبيده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسـجد بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ للشـفاعة، ويـؤذن لـه فيها؛ يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ، وهو صاحب المقام المحمـود الذي يغبطه به الأولون والآخـرون، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩ ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٩].

ومن أحب الوقوف على معنى المقام المحمود؛ فليقف علـى ما ذكره سـلف الأمـة مـن الصحابة والتابعيـن فيه في تفسير هذه السورة كتفسير ابن أبي حاتم، وابن جرير، وعبد بن حميد. وغيرها من تفاسير السلف.

وإذا قـام في ذلـك المقـام؛ حمـده حينئذ أهـل الموقف كلهـم: مسـلمهم وكافرهم، أولهم وآخرهـم، وهو محمود صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمـا يمـلأ بـه الأرض مـن الهـدى، والإيمان،

والعلم النافع، والعمل الصالح، وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض، واستنقذهم من أسر الشياطين، ومن الشرك بالله تعالى والكفر به والجهل به، حتى نال أتباعه شرف الدنيا والآخرة، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عباد أوثان، وعباد صلبان، وعباد نيران، وعباد الكواكب، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيران لا يعرف ربًا يعبده، ولا بماذا يعبده، والناس يأكل بعضهم بعضًا، من استحسن شيئًا دعا إليه، وقاتل من خالفه، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة، وقد نظر الله سبحانه إلى أهل الأرض، فمقتهم؛ عربهم وعجمهم، إلا بقايا على آثار دين صحيح، فأغاث الله به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلاد والعباد، وكشف به تلك الظلم وأحيا به الخليقة بعد الموت ،فهدى به الضلالة ، وعلم به من الجهالة، وكثر بعد القلة وأعز به بعد الذلة، وأغنى به

بعد العيلة، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف؛ لا إلى من قبله ولا إلى من بعده، بل كفاهم، وشفاهم، وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٥١].

روى أبو داود في «مراسيله»: عن النبي ﷺ أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة؛ فقال: (كفى بقوم ضلالة أن يبتغوا كتابًا غير كتابهم [الذي] أنزل على

غير نبيهم)، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديق ذلك: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٥١].

فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منزل على غير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدمه على كلام الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!.

وعرفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسنًا إلا أمرهم به، ولا قبيحًا إلا نهى عنه، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة؛ إلا وقد أمرتكم به، ولا من شيء يقربكم إلى النار؛ إلا وقد نهيتكم عنه)**[1].

وعرفهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع بابًا من العلم

(١) أخرجه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

النافـع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشـكلاً إلا بينـه وشـرحه، حتى هـدى الله به القلوب مـن ضلالها، وشـفاها بـه من أسـقامها، وأغاثها به من جهلها، فأي بشـر أحـق بأن يُحَمَّـد منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وجزاه عـن أمته أفضل الجزاء.

وأصح القوليـن في قولـه تعالـى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء،١٠٧].

أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهمـا: أن عمـوم العالمين حصل لهم النفع برسـالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أتباعه؛ فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعـداؤه المحاربون لـه؛ فالذين عجـل قتلهم وموتهم، خير لهـم من حياتهـم، لأن حياتهم زيادة لهـم في تغليظ العذاب عليهـم في الـدار الآخـرة، وهـم قد كتـب عليهم الشـقاء، فتعجيل موتهم خير لهم مـن طول أعمارهم في الكفر، وأما

المعاهدون لـه؛ فعاشوا في الدنيا تحت ظله، وعهده، وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين لـه.

وأما المنافقون؛ فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم، وأموالهم، وأهلهم، واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه؛ فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد؛ لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها؛ فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله،لم يخرج المريض عن أن يكون دواء لذلك المرض.

ومما يحمد عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ علـم أنها خير أخـلاق الخلق، وأكرم شـمائل الخلق؛ فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثًا وأحلمهم، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمـًا، كما روى البخاري في «صحيحه»: عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنه قال في صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة: (محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سـخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، وأفتح به أعينـًا عميـًا، وآذانـًا صمـًا، وقلوبـًا غلفـًا)[١].

وأرحـم الخلق وأرأفهم بهـم وأعظم الخلـق نفعـًا لهم في دينهـم ودنياهـم، وأفصـح خلـق الله، وأحسـنهم تعبيراً

(١) سنن الدارمي، المقدمة، حديث رقم: (٦).

عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثاراً على نفسه وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم، ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه فهو أحق بقول القائل:

بَـرْدٌ علـى الأدْنَـى وَمَـرْحَـمَـةٌ
وعلـى الأعَـادِي مَـارِنٌ جَلْـدُ

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[(١)].

(١) حسن بشواهده، أخرجة الترمذي وابن حبان.

فقولـه: (كان أجود الناس صدراً)؛ أراد به بر الصدر وكثرة خيره، وأن الخير يتفجر منه تفجراً، وإنه منطو على كل خلق جميل، وكل خير، كما قال بعض أهل العلم: «ليس في الدنيا كلها محل كان أكثر خيراً من صدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد جمع الخير بحذافيره، وأُوْدِعَ في صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وقولـه: (أصدق الناس لهجة)؛ هذا مما أقر لـه به أعداؤه المحاربون لـه، ولم يجرب أحد من أعدائه كذبة واحدة قط، دع شهادة أوليائه كلهم لـه به؛ فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات، مشركوهم وأهل الكتاب منهم، وليس أحد منهم يوماً من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة، صغيرة ولا كبيرة.

وقال تعالى: يسليه، ويهون عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول أعدائه:
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا

كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ [سورة الأنعام،الآيات ٣٣-٣٤].

وقوله: (ألينهم عريكة)؛ يعني: أنه سهل، لين، قريب من الناس، مجيب لدعوة من دعاه، قاض لحاجة من استقضاه، جابر لقلب من سأله، لا يحرمه ولا يرده خائباً، إذا أراد أصحابه منه أمراً؛ وافقهم عليه، وتابعهم فيه، وإن عزم على أمر؛ لم يستبد دونهم، بل يشاورهم، ويؤامرهم، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم.

وقوله: (أكرمهم عشرة)؛ يعني: أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة، وأحسنها، وأكرمها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ له مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة ونحوها، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمل غاية الاحتمال، فكانت عشرته لهم احتمال أذاهم

وجفوتهم جملة، لا يعاتب أحداً منهم، ولا يلومه، ولا يبادئه بما يكره ومن خالطه يقول: إنه أحب الناس إليه، لما يرى من لطفه به، وقربه منه، وإقباله عليه، واهتمامه بأمره، ونصيحته له، وبذل إحسانه إليه، واحتمال جفوته، فأي عشرة كانت، أو تكون أكرم من هذه العشرة؟!.

وقوله: (من رآه بديهة؛ هابه، ومن خالطه معرفة؛ أحبه) وصفه بصفتين خص الله -تعالى- بهما أهل الصدق والإخلاص؛ وهما الإجلال والمحبة، فكان قد ألقى عليه هيبة منه ومحبة، فكان كل من يراه يهابه، ويجله، ويملأ قلبه تعظيماً وإجلالاً، وإن كان عدواً له! فإذا خالطه، وعاشره؛ كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة، ناقصة، والهيبة والتعظيم من غير محبة كما يكون للظالم القادر؛ نقص -أيضاً-،

والكمال: أن تجتمع المحبة، والود، والتعظيم، والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها، ويحب لأجلها.

ولما كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحق بهذا من كل أحد؛ كان المستحق لأن يعظم، ويكبر، ويهاب، ويحب، ويود بكل جزء من أجزاء القلب، ولا يجعل له شريك في ذلك، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه: أن يسوي بينه وبين غيره في هذا الحب والتعظيم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ... ﴾ [سورة البقرة، الآية١٦٥].

فأخبر أن من أحب شيئاً غير الله مثل حبه لله؛ كان قد اتخذه نداً، وقال أهل النار في النار لمعبودهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء،الآيات ٩٧-٩٨].

ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقوا السماوات والأرض، أو خلقوهم، أو خلقوا آبائهم، وإنما سووهم برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحب لهم، كما يحب الله تعالى، فإن حقيقة العبادة هي: الحب والذل، وهذا هو الإجلال والإكرام الذي وصف به نفسه في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [سورة الرحمن، الآية ٧٨].

وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم، والإكرام هو الحب، وهو سر قول العبد: (لا إله إلا الله، والله أكبر)، وهذا في (مسند الإمام أحمد) من حديث أنس عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (ألظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام)، أي: الزموها وألهجوا بها.

وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز؛ تبعًا لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه؛ فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه؛

لمحبة الله لـه، ويعظمونه، ويجلونه؛ لإجـلال الله لـه، فهي محبـة لله من موجبات محبة الله، وكذلـك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم.

والمقصود: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه من المهابة والمحبة، ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك.

قـال عمـرو بن العـاص -قبل إسـلامه-: (إنـه لم يكن شـخص أبغض إليَّ منه، فلما أسلم؛ لم يكن شخص أحب إليـه منه، ولا أجـلَّ في عينه منه، قال: ولو سـئلت أن أصفه لكم لما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه؛ إجلالاً له)[١].

وقال عروة بن مسعود لقريش: (يا قوم! والله لقد وفدت على كسـرى، وقيصـر والملـوك، فما رأيت ملـكًا يعظمه أصحابـه مـا يعظم أصحـاب محمد محمـداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) أخرجه مسلم.

والله مـا يُحِدُّون النظر إليه؛ تعظيمـًا لـه، وما تنخَّم نخامة إلا وقعت في كف رجـل منهم؛ فيدلك بها وجهه وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه)[(١)].

فلما كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشتملاً على ما يقتضي أن يحمد عليه مرة بعد مرة؛ سمي محمداً، وهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه.

وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمي (محمداً) و(أحمد)؛ لأنه يحمد أكثـر مما يحمد غيره، وأفضل مما يحمد غيره، وأيضـًا فإن الاسمين إنما اشـتقا من أخلاقه، وخصائله المحمودة التي لأجلها اسـتحق أن يسـمى (محمداً) و(أحمد)، فهو الذي يحمـده أهـل الدنيـا وأهل الآخـرة، ويحمده أهل السـماء والأرض، فلكثـرة خصائلـه المحمـودة التـي تفـوت عـد العادين؛ سمي باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري.

الفصل الرابع

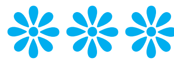
في معنى الآل واشتقاقه وأحكامه

وأما معناه، فقالت طائفة: يقال آل الرجل له نفسه وآله لمن يتبعه نفسه وآله لأهله وأقاربه، ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: لا يكون الآل إلا الأتباع والأقارب.

واختلف في آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على أربعة أقوال:**

* **أصحها القول الأول:** هم الذين حرمت عليهم الصدقة.

* **ويليه القول الثاني:** أن آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم ذريته وأزواجه خاصة.



فصل

وأما الأزواج؛ فجمع زوج، وقد يقال: زوجة، والأولى أفصح، وبها جاء القرآن، قال الله تعالى لآدم ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٥].

وقال تعالى في حق زكريا: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٠].

ومن الثاني: قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (إنها زوجة نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة)[1]، وقال الفرزدق:

كساعٍ إلى أُسْد الشَّرى يَسْتَبِيلُهَا
وإن الذي يَبْغي لِيُفْسِدَ زوجتي

وقد يجمع على (زوجات) وهذا إنما هو جمع زوجة،

(١) أخرجه البخاري.

وإلا فجمع زوج (أزواج)، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة يس، الآية ٥٦]. وقال تعالى: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الزخرف، الآية ٧٠].

وقد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفرداً وجمعًا، كما تقدم، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٢٨] والإخبار عن أهل الشرك بلفظ «المرأة»، وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [سورة المسد، ١-٥] وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [سورة التحريم، الآية ١٠]، فلما كانتا مشركتين؛ أوقع عليهما اسم «المرأة»، وقال في فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة التحريم، الآية ١١]، لما

كان هو المشـرك وهي مؤمنة؛ لم يسمها زوجًا لـه، وقال في حق آدم ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سـورة البقرة، الآية ٣٥] وقال للنبي ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [سـورة الأحزاب، الآية ٥٠] وقال في حق المؤمنين: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥].

فقالـت طائفـة – منهم السـهيلي وغيـره –: إنما لم يقل في حـق هـؤلاء الأزواج؛ لأنهن لسـن بـأزواج لرجالهم في الآخـرة، ولأن التزويج حلية شـرعية، وهو مـن أمر الدين، فجـرد الكافـرة منه، كما جـرد منها امرأة نـوح وامرأة لوط عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

ثـم أورد السـهيلي علـى نفسـه قـول زكريـا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [سـورة مريـم، الآيـة ٥] وقوله تعالى – عن إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [سـورة الذاريات، الآية ٢٩].

وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع؛ لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة، فذكر المرأة أولى به؛ لأن الصفة-التي هي الأنوثة- هي المقتضية للحمل والوضع، لا من حيث كانت زوجًا.

قلت: ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة، والمجانسة، والاقتران، كما هو المفهوم من لفظه، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان، والمتساويان، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الصافات، الآية ٢٢] قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أزواجهم أشباههم، ونظراؤهم»، وقاله الإمام أحمد أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [سورة التكوير، الآية ٧] أي: قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: «الصالح مع الصالح في

الجنة، والفاجر مع الفاجر في النار» وقال الحسن، وقتادة، والأكثرون، وقيل: زُوِّجتْ أنفس المؤمنين بالحور العين، وأنفس الكافرين بالشياطين، وهو راجع إلى القول الأول، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍ﴾، ثم فسرها ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٤]، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد، ومنه قولهم: «زوجا خُفٍّ، وزوجا حمام»، ونحوه، ولا ريب أن الله -سبحانه- قطع المشابهة والمشاكلة بين الكافر والمؤمن، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ...﴾ [سورة الحشر، الآية ٢٠] وقال تعالى- في حق مؤمني أهل الكتاب وكافرهم-: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾ [سورة آل عمران، الآية ١١٣] وقطع المقارنة-سبحانه- بينهما في أحكام الدنيا، فلا يتوارثان، ولا يتناكحان، ولا يتولى أحدهما صاحبه، فكما

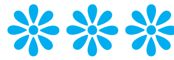
انقطعت الوصلة بينهما في المعنى، انقطعت في الاسم، فأضافت فيها «المرأة» بلفظ الأنوثة المجرد، دون لفظ المشاكلة والمشابهة.

فتأمل هذا المعنى؛ تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر، وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ «المرأة» دون «الزوجة» تحقيقًا لهذا المعنى، والله أعلم.

وهذا أولى من قول من قال: إنما سمي صاحبة أبي لهب «امرأته» ولم يقل لها زوجته؛ لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة، بخلاف أنكحة أهل الإسلام، فإن هذا باطل بإطلاقه اسم «المرأة» على امرأة نوح وامرأة لوط، مع صحة ذلك النكاح.

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه -سبحانه- التوارث فيها بلفظ الزوجة دون المرأة، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ...﴾ [سورة النساء، الآية ١٢] إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.



فصل

وهذا أليق المواضع بذكر أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأولهن: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد تزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله –تعالى– برسالته، فآمنت به ونصرته، فكانت له وزير صدق، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح، ولها خصائص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

منها: أنه لم يتزوج عليها غيرها.

ومنها: أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه من سريته مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومنها: أنها خير نساء الأمة.

واختلف في تفضيلها على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **على ثلاثة أقوال:** ثالثها: الوقف، وسألت شيخنا -ابن تيمية رحمة الله عليه، فقال: اختص كل واحدة منها بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبته، وتسكنه، وتبذل دونه مالها، فأدركت غرة الإسلام، واحتملت الأذى في الله تعالى، وفي رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت نصرتها للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعظم أوقات الحاجة، فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة، وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها. هذا معنى كلامه.

قلت: ومن خصائصها أيضًا: أن الله -سبحانه- بعث إليها السلام مع جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فبلغها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. قال البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

قال: «**أتى جبريل النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك؛ فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**».

وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها.

وأما عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ فإن جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ سَلَّم عليها على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال البخاري: إن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا: (**يا عائش! هذا جبرائيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **يقرئك السلام**)! **فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى! تريد رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن خواص خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها لم تسؤه قط، ولم تغاضبه، ولم ينلها منه إيلاء، ولا عتب قط، ولا هجر، وكفى بهذه منقبة وفضيلة!

ومن خواصها: أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله ﷺ من هذه الأمة- رضوان الله عليها-.

فلما توافاها الله سبحانه؛ تزوج بعدها سودة بنت زمعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي سودة بنت زمعه بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وكبرت عنده، وأراد طلاقها؛ فوهبت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فأمسكها، وهذا من خواصها؛ أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ؛ تقربًا إلى رسول الله ﷺ، وحبًا له، وإيثاراً لمقامها معه، فكان رسول الله ﷺ يقسم لنسائه، ولا يقسم لها وهي راضية بذلك، مؤثرة لرضا رسول الله ﷺ.

وتزوج الصديقة بنت الصديق -عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن أبيها-وهي بنت ست سنين قبل الهجرة

بسنتين، وقيل: بثلاث، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنة ثمان وخمسين.

ومن خصائصها: أنها كانت أحب أزواج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إليه كما ثبت عنه ذلك في «البخاري» وغيره وقد سئل: «**أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قيل: فمن الرجال؟ قال: أبوها**».

ومن خصائصها-أيضاً-: أنه لم يتزوج امرأة بكراً غيرها.

ومن خصائصها: أنه كان ينزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها.

ومن خصائصها: أن الله عَزَّوَجَلَّ لما أنزل عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها، فقال: «**ولا عليك أن لا تعجلي حتى**

تستأمري أبويك»، فقالت: أفي هذا استأمر أبوي؟! فإني أريد الله، ورسوله، والدار الآخرة»[1] فاستن بها بقية أزواجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقلن كما قالت.

ومن خصائصها: أن الله سبحانه برأها بما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها، ولا عائبًا لها، ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها.

(١) صحيح البخاري.

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا يبرئني الله بها»[1]، فهذه صدِّيقة الأُمَّة وأم المؤمنين وحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي تعلم رضوان الله عليها أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا كان احتقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها، فما ظنك بمن قد صام يومًا، أو يومين، أو شهراً، أو شهرين، وقام ليلة، أو ليلتين، وظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات، والمكاشفات، والمخاطبات، والمنازلات، وإجابة الدعوات، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأنهم يجب على الناس احترامهم، وتعظيمهم، وتعزيرهم،

---

(١) متفق عليه.

وتوقيرهم، فيتمسح بأثوابهم ويقبل ثرى أعتابهم، وأنهم من الله بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وأن الإساءة عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم، ولو كان هذا من وراء كفاية؛ لهان، ولكن من وراء تخلف، وهذه الحماقات والرعونات نتائج الجهل الصميم، والعقل الغير مستقيم، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنوبه، مغتر بإمهال الله له عن أخذه بما هو فيه من الكبر والإزراء على من لعله عند الله عَزَّوَجَلَّ خير منه، نسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً، وهو عند الله حقير.

ومن خصائصها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: أن الأكابر من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم كان إذا أشكل عليهم الأمر من الدين؛ استفتوها، فيجدون علمه عندها.

ومن خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي في بيتها، وفي يومها، وبين سحرها ونحرها، ودفن في بيتها.

ومن خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الملك أرى صورتها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يتزوجها في سَرْقة حرير، فقال: (**إن يكن هذا من عند الله؛ يمضه**)[١].

ومن خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقربًا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين-، وتكنى: أم عبدالله، وروي أنها أسقطت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سقطًا، ولا يثبت ذلك.

وتزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفصة بنت عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن أبيها-، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة، وكان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممن شهد بدراً، توفيت سنة سبع، وقيل: ثمان وعشرين.

(١) متفق عليه، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومن خصائصها: ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في «مختصره في السيرة»: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلقها، فأتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»[1].

عن عقبة بن عامر: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فوضع التراب على رأسه، وقال: ما يعبأ الله بابن الخطاب بعد هذا! فنزل جبرائيل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة؛ رحمة لعمر -رضي الله تعالى عنه-»[2].

وتزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبه بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واسمها رملة بنت صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، هاجرت مع زوجها عبيد الله ابن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله

(١) المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٦)، الحديث [٦٧٥٣] من حديث قيس بن زيد.

(٢) صحيح بشواهده فقد أخرجه الطبراني.

لها الإسلام وتزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي أربع مائة دينار[(١)]، وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أرض الحبشة، يخطبها، وولي نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص.

وهي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا التي أكرمت فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة، وقالت: «إنك مشرك»، ومنعته من الجلوس عليه[(٢)].

وتزوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أم سلمة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظه بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكانت قبله عند أبي سلمه بن عبدالأسد، توفيت سنة اثنتين وستين، ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتًا، وقيل بل ميمونة.

---

(١) أخرجه أبوداود والنسائي، بإسناد صحيح.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ٥٠).

ومن خصائصها : أن جبرائيل دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عنده، فرأته في صورة دحية الكلبي، وزوجها ابنها عمرُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قيل: إن الذي زوجها هو عمر بن الخطاب لا ابنها؛ لأن في غالب الروايات «قم يا عمر»، فزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو كان الخاطب(١).

وتزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زينب بنت جحش** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من بني خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهي بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب، وكانت من قبل عند مولاه زيد بن حارثة، وطلقها، فزوجها الله تعالى إياه من فوق سبع سموات، وأنزل عليه: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣٧]، فقام فدخل عليها بلا استئذان، وكانت

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨) الحديث [٦٧٥٩]، حديث صحيح الإسناد، وصحيح ابن حبان (٧/ ٢١٢) [٢٩٤٩].

تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماواته»[(١)] وهذا من خصائصها، توفيت بالمدينة سنة عشرين، ودفنت بالبقيع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وتزوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زينب بنت خزيمة الهلالية** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكانت تحت عبدالله بن جحش، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا يسيراً شهرين، أو ثلاثة، وتوفيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وتزوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **جُوَيْرِية بنت الحارث** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من بني المصطلق، وكانت سُبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابتها، وتزوجها سنة ست من الهجرة،

---

(١) صحيح البخاري.

وتوفيت سنة ست وخمسين، وهي التي اعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك من بركتها على قومها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صفية بنت حيي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من ولد هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام، سنة سبع فإنها سبيت من خيبر، وكانت قبله تحت كنانة ابن أبي الحقيق، فقتله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمسين.

ومن خصائصها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعتقها وجعل عتقها صداقها. قال أنس: «أمهرها نفسها»(١) وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة، يجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها، وتصير زوجته على منصوص الإمام أحمد رحمه الله.

---

(١) صحيح البخاري.

قـال الترمـذي عـن أنـس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: «**بلـغ صفية أن حفصه قالت: صفية بنت يهودي فبكت. فدخل عليها النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهـي تبكـي، فقال: مـا يبكيك؟ قالـت: قالت لـي حفصه: إني ابنة يهودي، فقـال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إنك لابنـة نبـي، وإن عمك لنبـي، وإنك لتحت نبـي، فبم تفخر عليك؟!) ثم قال: (اتقي الله يا حفصه!)** قال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه». وهذا من خصائصها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وتزوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميمونة بنت الحارث الهلالية

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، تزوجها بسـرف وبنى بها بسـرف، وماتت بسرف، وهـي على سـبعة أميال مـن مكة، وهي آخر مـن تزوج من أمهـات المؤمنيـن رضـوان الله عليهن، توفيت سـنة ثلاث وسـتين، وهي خالـة عبدالله بـن عباس -رضـي الله تعالى عنهـم-، فـإن أمـه أم الفضـل بنت الحـارث، وهـي خالة

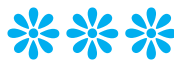
خالد بن الوليد-أيضاً-، وهي التي اختلف في نكاح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل نكحها حلالاً أو مُحْرِماً؟ فالصحيح: أنه تزوجها حلالاً، كما قال أبو رافع السفير في نكاحها، وقد بينت وجه غلط من قال: نكحها محرماً وتقديم حديث من قال: «تزوجها حلالاً» من عشرة أوجه مذكورة في غير هذا الموضع.

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة.

قال الحافظ أبو محمد المقدسي وغيره: وعقد على سبع، ولم يدخل بهن. فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن، وتحريمهن على الأمة، وأنهن نساؤه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، فمن فارقها في حياتها، ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن، ومات عنهن، صلى الله عليه وعلى أزواجه وذريته وسلم تسليماً.

فصل

وأما الذرية، فهي من ذرأ الله،أي: نشرهم وأظهرهم. وهو أصح الأقوال. ولا خلاف بين أهل اللغة أن الذرية تقال على الأولاد الصغار وعلى الكبار أيضًا، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٤] فالذرية الأولاد وأولادهم، وهل يدخل فيها أولاد البنات؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد.



الفصل الخامس

في ذكر إبراهيم خليل الرحمن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهذا الاسم من النمط المتقدم، فإن إبراهيم بالسريانية معناه «أب رحيم» والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل إبراهيم الأب الثالث للعالم؛ فإن أبانا الأول آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والأب الثاني نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأهل الأرض كلهم من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧﴾ [سورة الصافات، الآية ٧٧] وبهذا يتبين كذب المفترين من العجم الذين يزعمون أنهم لا يعرفون نوحًا، ولا ولده، ولا ينسبون إليه وينسبون ملوكهم من آدم إليهم ولا يذكرون نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آبائهم، وقد كذبهم الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك.

فالأب الثالث أبو الآباء، وعمود العالم، وإمام الحنفاء الذي اتخذه الله خليلاً، وجعل النبوة والكتاب في ذريته، ذلك خليل الرحمن، وشيخ الأنبياء، كما سماه النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فإنه لما دخل الكعبة؛ وجد المشركين قد صوروا فيها صورته، وصورة إسماعيل ابنه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وهما يستقسمان بالأزلام؛ فقال: «قاتلهم الله، لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام»(١)، ولم يأمر الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٣] وأمر أمته بذلك، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [سورة الحج، الآية ٧٨] وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه إذا أصبحوا وإذا أمسوا أن يقولوا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والنسائي والطبراني وإسناده صحيح، مجمع الزوائد (١٠/ ١١٦)، والسلسلة الصحيحة (٧/ ١٩٠)، الحديث [٢٩٨٩]..

وتأمل هذه الألفاظ، كيف جعل الفطرة للإسلام! فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله، والملة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنه صاحب الملة، وهي التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ومحبته فوق كل محبة، والدين للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو دينه الكامل، وشرعه التام الجامع لذلك كله سماه الله سبحانه إمامًا، وأمة، وقانتًا، وحنيفًا، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٤] فأخبر سبحانه أنه جعله إمامًا للناس، وأن الظالم من ذريته لا ينال رتبة الإمامة، والظالم هو المشرك، وأخبر سبحانه أن عهده بالإمامة لا ينال من أشرك به، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة النحل، الآيات ١٢٠-١٢٢]

فالأمـة: هو القـدوة المعلم للخيـر، والقانـت: المطيع لله، الملازم لطاعته، والحنيف: المقبل على الله، المعرض عما سواه، ومن فسره بالمائل، فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسـره بلازم المعنى؛ فإن الحنف: هـو الإقبال، ومن أقبل على شـيء مال عـن غيره، والحنـف في الرجلين: هو إقبال إحداهما على الأخرى، ويلزمه ميلها عن جهتها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم، الآية ٣٠] فحنيفـًا: هو حال مفرده لمضمون قولـه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، ولهـذا؛ فسـرت «مخلصـًا»، فتكـون الآية قد تضمنـت الصدق والإخـلاص، فإن إقامة الوجه للدين هو: إفراد طلبه، بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره، والحنيف: المفرد لمعبوده، لا يريد غيره، فالصدق: أن لا ينقسـم طلبك، والإخلاص: أن لا ينقسـم مطلوبك، الأول: توحيد الطلب، والثاني: توحيد المطلوب.

والمقصود: أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أبونا الثالث، وهو إمام الحنفاء، وتسميه أهل الكتاب عمود العالم، وجميع أهل الملل متفقة على تعظيمه، وتوليه، ومحبته، وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجله، ويعظمه، ويبجله، ويحترمه، ففي «الصحيحين» من حديث المختار بن فُلْفُل عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- قال: «**جاء رجل إلى النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: ياخير البرية! فقال رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذاك إبراهيم**»، وثبت في «صحيح البخاري» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما-، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً**)، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٤] وأول من يكسى يوم القيامة: إبراهيم». وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشبه الخلق به، كما في «الصحيحين» عنه قال: «**رأيت**

إبراهيم، فإذا أقرب الناس شبهًا به؛ صاحبكم» يعني: نفسه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وفي لفظ آخر: «فانظروا إلى صاحبكم».

وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعوّذ أولاد ابنته -حسنًا وحسينًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ- بتعويذ إبراهيم لإسماعيل وإسحاق- عليهم الصلاة والسلام -، ففي «صحيح البخاري» عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أول من قرى الضيف، وأول من اختتن، وأول من رأى الشيب. فقال: «ما هذا يا رب؟ قال: وقار، قال: رب زدني وقاراً».

وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرام ضيفه من الملائكة حيث يقول سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ

﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

[سورة الذاريات، الآيات ٢٤-٢٧] ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة(١):

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾، فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قد عرف بإكرام الضيفان، واعتياد قراهم، فبقي منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: أنه راغ إلى أهله؛ ليحييهم بنزلهم، والروغان هو: الذهاب في اختفاء، بحيث لا يكاد يشعر به الضيف، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء

(١) من أراد المزيد فليراجع الكتاب.

بحيث لا يشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحي، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه، ويقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف، واحتشامه.

الرابع: أنه ذهب إلى أهله ، فجاء بالضيافة، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيأ للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه ،أو غيرهم، فيشتريه، أو يستقرضه.

الخامس: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ [سورة الذاريات، الآية ٢٦] دل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب، وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

السادس: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السابع: أنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الثامن: أنه قربه إليهم، ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف، ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية، ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

التاسع: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وهذا عرض، وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم، ونحوها.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف؛ إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخراً، فصلى الله على نبينا، وعلى إبراهيم، وعلى آلهما، وعلى سائر النبيين. وقد شهد الله سبحانه بأنه وفَّى

مـا أمر بـه، فقـال تعالـى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [سـورة النجـم، الآيـات ٣٦-٣٧] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وفَّى جميع شـرائع الإسلام، ووفَّى ما أمر بـه من تبليغ الرسـالة»، وقـال تعالـى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٤] فلمـا أتم مـا أمر به من الكلمات؛ جعلـه الله إمامـًا للخلائق يأتمون به، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قيل: قلبه للرحمن، وولده للقربان، وبدنه للنيران، وماله للضيفان.

ولمـا اتخذه ربـه خليلاً -والخلة-: هي كمـال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة، وكان قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحـًا فوهب له إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخذ هذا الولد شـعبة من قلبه، -فامتحنه الله بذبحه؛ ليظهر سـر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله؛ وظهر سـلطان الخلة في الإقدام

علـى ذبح الولد إيثـاراً لمحبة خليله على محبته؛ نسـخ الله ذلـك عنه، وفـداه بالذبح العظيـم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشـئة من العزم، وتوطين النفس على ما أمر به، فلما حصلت هذه المصلحة؛ عاد الذبح نفسـه مفسدة، فنسخ في حقه، فصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سـنة في أتباعه إلى يوم القيامة. وهو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشـركين وأهـل الباطل، وكسـر حججهم، وقـد ذكر الله سـبحانه مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين ومناظرته مع قومه المشـركين، وكسـر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربهـا إلى الفهـم وحصـول العلم. قـال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [سـورة الأنعام، الآية ٨٣].

قال زيد بن أسلم وغيره: بالحجة والعلم.

ولما غلب أعداء الله معه بالحجة وظهرت حجته عليهم، وكسر أصنامهم فكسر حججهم ومعبودهم؛ هموا بعقوبته وإلقائه في النار، وهذا شأن المبطلين إذا غُلبوا، وقامت عليهم الحجة؛ هموا بالعقوبة كما قال فرعون لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقد أقام عليه الحجة: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ [سورة الشعراء، الآية ٢٩] فأضرموا له النار وألقوه في المنجنيق، فكانت تلك السفرة أعظم سفرة سافرها، وأبركها عليه، فإنه ما سافر سفرة أبرك، ولا أعظم، ولا أرفع لشأنه، وأقر لعينه منها، وفي تلك السفرة عرض له جبريل بين السماء والأرض، فقال: يا إبراهيم! ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٧٣] قالها

نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالها إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ألقي في النار[1]؛ فجعل الله سبحانه عليه النار برداً وسلاماً.

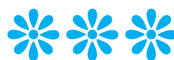
وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أم شريك، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتل الوزغ وقال: **(كانت تنفخ على نار إبراهيم)**.

وهو الذي بنى بيت الله، وأذن في الناس بحجه، فكل من حجه واعتمره؛ حصل لإبراهيم من مزيد ثواب الله وإكرامه بعدد الحجاج والمعتمرين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٥] قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٥]، فأمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى؛ تحقيقاً للاقتداء به، وإحياء آثاره- صلى الله على نبينا وعليه وسلم-.

(١) صحيح البخاري.

ومناقب هذا الإمـام الأعظم والنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجـل من أن يحيط بهـا كتاب، وإن مـد الله في العمر؛ أفردنا كتابًا في ذلك يكون قطرة في بحر فضائله، أو أقل، جعلنا الله ممن ائتـم به، ولا جعلنا ممن عدل عـن ملته، بمنه وكرمه!

وقد روى لنـا عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثـًا وقع لنا متصل الروايـة إليه رويناه في «كتـاب الترمذي»، وغيره من حديث القاسـم بـن عبد الرحمن عـن أبيه عن ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد! أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسـها سـبحان الله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر). قـال الترمذي: هذا حديث حسن.



الفصل السادس

في ذكر المسألة المشهورة بين الناس وبيان ما فيها

وهي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من إبراهيم، فكيف طلب له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة ما لإبراهيم مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟! فكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟.

قالت طائفة: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله- وفيهم الأنبياء-؛ حصل لآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك ما يليق بهم فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره.

وتقرير ذلك: أن يجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما حصل لآل إبراهيم وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم، فيبقى قسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصه به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم، وهذا أحسن من كل ما تقدمه(١).

وأحسن منه أن يقال: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم؛ كما روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٣] فإن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «محمد

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله أقوالًا ضعفها رحمه الله وردها.

من آل إبراهيم صلى الله عليهما وسلم» وهذا نص إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله؛ فدخول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى، فيكون قولنا: «كما صليت على آل إبراهيم» متناولاً للصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم.

ثم قد أمرنا الله أن نصلي عليه وعلى آله خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً، وهو فيهم، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتقرير هذا: أنه يكون قد صلى عليه خصوصاً، أو طلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم، وهو داخل معهم، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم؛ أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم

قطعـًا، ويظهر حينئذ فائدة التشـبيه، وجريه على أصله، وأن المطلوب لـه من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب لـه بغيـره، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشـبه به، ولـه أوفر نصيب منه؛ صار له من المشبه المطلوب أكثر ممـا لإبراهيم وغيره، وانضاف إلى ذلك مما له من المشـبه به من الحصة التي لم تحصل لغيره.

فظهر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم، وعلى كل من آله – وفيهم النبيون– ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالـة علـى هـذا التفضيـل، وتابعة لــه، وهي مـن موجباته ومقتضياته، فصلى الله عليه وعلى آلـه وسلم تسليمـًا كثيراً، وجـزاه عنا أفضل ما جـزى نبيـًا عن أمتـه، اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميـد مجيـد، وبارك علـى محمد، وعلـى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

الفصل السابع

في قولهم: «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد» وذكر البركة

وحقيقتها: الثبوت واللزوم والاستقرار.

والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له.

وفي القرآن: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [سورة النمل، الآية ٨] وفيه: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [سورة الصافات، الآية ١١٣] وفيه: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٧١] وفي الحديث: (وبارك لي فيما أعطيت)[١]، وفي حديث سعد: (بارك الله لك في أهلك ومالك)[٢]، والمبارك الذي قد باركه الله سبحانه كما قال المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ...﴾ [سورة

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه (ج٢/ ٣٢٨)، الحديث [٤٦٤].

(٢) صحيح البخاري.

مريم، الآية ٣١] وكتابه مبارك، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ...﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٥٠] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [سورة ص، الآية ٢٩] وهو أحق أن يسمى مباركًا من كل شيء؛ لكثرة خيره ومنافعه، ووجوه البركة فيه، والرب تعالى يقال في حقه: «تبارك»، ولا يقال: مبارك.

وإنما تبارك تفاعل من البركة، وهذا الثناء في حقه تعالى إنما هو لوصف رجع إليه، كتعالى؛ فإنه تفاعل من العلو، ولهذا يقرن بين هذين اللفظين، فيقال: «تبارك وتعالى»، وفي دعاء القنوت: «تباركت وتعاليت»، وهو سبحانه أحق بذلك، وأولى من كل أحد، فإن الخير كله بيده، وكل الخير منه، و صفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة، ورحمة، ومصلحة، وخيرات لا شرور فيها، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والشر ليس إليك)[(١)].

---

(١) صحيح مسلم.

وإنما يقع الشر في مفعولاته ومخلوقاته، لا في فعله سبحانه، فإذا كان العبد وغيره مباركًا لكثرة خيره ونفعه، واتصال أسباب الخير فيه، وحصول ما ينتفع به الناس منه، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أحق أن يكون متباركًا، وهذا ثناء يشعر بالعظمة، والرفعة، والسعة، كما يقال: تعاظم، وتعالى، ونحوه، فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وأن كل نفع في العالم كان ويكون، فمن نفعه سبحانه وإحسانه.

ويدل هذا الفعل -أيضًا- في حقه على العظمة، والجلال، وعلو الشأن، ولهذا إنما يذكره غالبًا مفتتحًا به جلاله، وعظمته، وكبرياءه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٤]

وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية ١] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية ٦١]، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الزخرف، الآية ٨٥]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الملك، الآية ١] وقال -عقب خلق الإنسان في أطواره السبعة-: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١٤]، فقد ذكر تباركه سبحانه في المواضع التي أثنى فيها على نفسه بالجلال، والعظمة، والأفعال الدالة على ربوبيته وإلهيته وحكمته، وسائر صفات كماله من إنزال الفرقان، وخلق العالمين، وجعله البروج في السماء، والشمس، والقمر، وانفراده بالملك، وكمال القدرة.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تبارك بمعنى: تعالى. وقال أبو العباس: تبارك: ارتفع، والمبارك: المرتفع.

وقال الحسين بن الفضل: «تبارك في ذاته، وبارك من شاء من خلقه»، وهذا أحسن الأقوال، فتباركه سبحانه وصف ذات له، وصفة فعل، كما قال الحسين بن الفضل.

والذي يدل على ذلك -أيضًا- أنه سبحانه يضيف التبارك إلى اسمه، كما قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [سورة الرحمن، الآية ٧٨] وفي حديث الاستفتاح: (تبارك اسمك، وتعالى جدك)[١] فدل هذا على أن تبارك ليس بمعنى بارك.

والمقصود الكلام على قوله: «وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم» فهذا الدعاء يتضمن

(١) صحيح مسلم.

إعطـاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته، وثبوته له، ومضاعفتـه له، وزيادته، هذا حقيقة البركـة، وقد قال تعالى - في إبراهيـم وآلـه -: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ... ﴾ [سـورة الصافـات، الآيـات ١١٢-١١٣]، وقـال تعالى - فيه وفي أهـل بيته -: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة هود، الآية ٧٣].

ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق خصهم الله سبحانه منه بخصائص:

منهـا: أنه جعل فيه النبوة والكتاب فلم يأت بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبي إلا من أهل بيته.

ومنها: أنه -سـبحانه- جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامـة، فكل من دخـل الجنة من أوليـاء الله بعدهم، فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

ومنها: أنه –سبحانه– اتخذ منهم الخليلين: إبراهيم ومحمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ۝١٢٥﴾ [سورة النساء، الآية ١٢٥] وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً)[1] وهذا من خواص هذا البيت.

ومنها: أنه –سبحانه– جعل صاحب هذا البيت إماماً للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا ...﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٤].

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً للناس، وقبلة لهم، وحجاً، فكان ظهور هذا البيت من أهل هذا البيت الأكرمين.

ومنها: أنه أمر عباده بأن يصلوا على أهل هذا البيت، كما صلى على أهل بيتهم، وسلفهم، وهم: إبراهيم، وآله،

---

(١) متفق عليه.

وهذه خاصية لهم.

ومنها: أنه أخرج منهم الأمتين المعظمتين اللتين لم تخرجا من أهل بيت غيرهم، وهم: أمة موسى، وأمة محمد، وأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمام سبعين أمة، هم خيرها، وأكرمها على الله -تعالى-.

ومنها: أن الله -سبحانه- أبقى عليهم لسان صدق، وثناء حسنًا في العالم، فلا يذكرون إلا بالثناء عليهم، والصلاة والسلام عليهم قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة الصافات، الآيات ١٠٨-١١٠].

ومنها: جعل أهل البيت فرقانًا بين الناس، فالسعداء أتباعهم ومحبوهم ومن تولاهم، والأشقياء من أبغضهم وأعرض عنهم وعاداهم، فالجنة لهم ولأتباعهم، والنار لأعدائهم، ومخالفيهم.

ومنهـا: أنـه –سـبحانه–جعل ذكرهـم مقرونـًا بذكره؛ فيقال: إبراهيم خليل الله ورسـوله ونبيه، ومحمد رسول الله وخليله ونبيه، وموسى كليم الله ورسولـه، قال تعالى– لنبيه يذكره بنعمته عليه–: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [سورة الشرح، الآيات ٤]، فيقال: لا إله إلا الله محمد رسـول الله في كلمة الإسلام، وفي الآذان، وفي الخطب، وفي التشهدات، وغير ذلك.

ومنهـا: أنه–سـبحانه– جعـل خـلاص خلقه من شـقاء الدنيا والآخرة على أيدي أهل هذا البيت؛ فلهم على الناس من النعم مـا لا يمكن إحصاؤها، ولا جزاؤها، ولهم المنن الجسـام في رقـاب الأولين والآخريـن من أهل السـعادة، والأيادي العظام عندهم التي يجازيهم الله –عَزَّوَجَلَّ– عليها.

ومنهـا: أن كل نفـع، وعمـل صالـح، وطاعـة لله تعالى حصلـت في العالـم فلهم مـن الأجر مثـل أجـور عامليها، فسبحان من يختص بفضله من يشاء من عباده.

ومنهـا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سـد جميـع الطـرق بينه وبين العالميـن، وأغلق دونهم الأبواب؛ فلـم يفتح لأحد قط إلا من طريقهم وبابهم.

ومنها: أنه – سـبحانه–خصهم مـن العلم بما لم يخص به أهل بيت سـواهم مـن العالمين؛ فلم يطـرق العالم أهل بيـت أعلـم بـالله وأسـمائه وصفاتـه، وأحكامـه، وأفعاله، وثوابه وعقابه، وشـرعه، ومواقع رضاه وغضبه، وملائكته، ومخلوقاتـه منهـم! فسـبحان من جمـع لهم علـم الأولين والآخرين!.

ومنهـا: أنه–سـبحانه–خصهم مـن توحيـده، ومحبتـه، وقربه والاختصاص به بما لم يخص به أهل بيت سواهم.

ومنها: أنه –سبحانه– مكن لهم في الأرض، واستخلفهم فيها وأطاع لهم أهل الأرض ما لم يحصل لغيرهم.

ومنها: أنه -سبحانه- أيدهم، ونصرهم، وأظفرهم بأعدائه وأعدائهم بما لم يؤيد غيره.

ومنها: أنه -سبحانه- محا بهم من آثار أهل الضلال والشرك ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ما لم يمحه بسواهم.

ومنها: أنه -سبحانه- غرس لهم من المحبة، والإجلال والتعظيم في قلوب العالمين ما لم يغرسه لغيرهم.

ومنها: أنه -سبحانه-جعل آثارهم في الأرض سببًا لبقاء العالم وحفظه، فلا يزال العالم باقيًا ما بقيت آثارهم، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض، فذاك أوان خراب العالم. قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [سورة المائدة: آية ٩٧] وأخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض، وكلامه من المصاحف، وصدور الرجال»[١]، فلا يبقى

(١) راجع فتح الباري (١٣/ ١٦).

لـه في الأرض بيـت يحـج، ولا كلام يتلـى، فحينئذ يقرب خـراب العالم، وهكذا النـاس اليوم إنما قيامهـم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم، وقيام أمورهم، وحصول مصالحهم، واندفـاع أنواع البلاء والشـر عنهم بحسـب ظهورها بينهم وقيامهـا، وهلاكهم وعنتهم وحلول البلاء والشـر بهم عند تعطلهـا والإعـراض عنهـا والتحاكـم إلـى غيرهـا واتخاذ سـواها، ومن تأمل تسليط الله سبحانه على من سلطه على البلاد والعباد من الأعداء؛ علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيهم وسـننه وشرائعه، فسلط الله تعالى عليهم من أهلكهم وانتقـم منهم، حتـى إن البلاد التي لآثـار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسـننه وشـرائعه فيها ظهور دفع عنها بحسـب ظهور ذلك بينهم.

ومـن بركات أهل هذا البيت أنه سـبحانه أظهر على أيديهم من بـركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على يدي أهل بيت غيرهم.

ومـن بركاتهـم وخصائصهم: أن الله سـبحانه أعطاهم من خصائصهـم ما لم يعط غيرهـم؛ فمنهم من اتخـذه خليلاً، ومنهم الذبيح، ومنهم من كلمه تكليماً وقربه نجياً، ومنهم من آتاه شـطر الحسـن وجعله من أكرم الناس عليه، ومنهم مـن آتـاه ملكاً لم يؤته أحـداً غيره، ومنهم مـن رفعه مكاناً علياً. ولما ذكر سبحانه هذا البيت وذريتهم؛ أخبر أن كلهم فضله على العالمين.

ومـن خصائصهـم وبركاتهـم علـى أهـل الأرض: أن الله- سبحانه-رفع العذاب العام عن أهل الأرض بهم وببعثتهم، وكانت عادته -سبحانه- في أمم الأنبياء قبلهم أنهم إذا كذبوا أنبيائهـم ورسـلهم أهلكهم بعذاب يعمهم، كمـا فعل بقوم نـوح، وقوم هود، وقـوم صالح، وقوم لـوط، فلما أنزل الله التوراة، والإنجيل، والقرآن؛ رفع بها العذاب العام عن أهل الأرض، وأمر بجهاد من كذبهم وخالفهم، فكان ذلك نصرة لهـم بأيديهم، وشـفاء لصدورهم، واتخاذ الشـهداء منهم،

وإهلاك عدوهم بأيديهم؛ لتحصيل محابه -سبحانه- على يديهم.

وهذه الخصائص، وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله، وبركاته على أهل هذا البيت، فلهذا؛ أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نطلب له من الله تعالى أن يبارك عليه، وعلى آله، كما بارك على هذا البيت المعظم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وحق لأهل بيت هذا بعض فضائلهم وخصائصهم أن لا تزال الألسن رطبة بالصلاة عليهم، والسلام، والثناء، والتعظيم، والقلوب ممتلئة من تعظيمهم ومحبتهم، وإجلالهم، وأن يعرف المصلي عليهم أنه لو أنفق أنفاسه كلها في الصلاة عليهم ما وَفَّى القليل من حقهم، فجزاهم الله عن بريته أفضل الجزاء، وزادهم في الملأ الأعلى تعظيمًا، وتشريفًا، وتكريمًا، وصلى الله عليهم صلاة دائمة لا انقطاع لها، وسلم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين.

الفصل الثامن

في اختتام هذه الصلاة بهذين الاسمين

من أسماء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وهما : الحميد ، المجيد

فالحميد: فعيل من الحمد، وهو بمعنى: محمود، وأكثر ما يأتي فعيلاً في أسمائه تعالى بمعنى فاعل، كسميع، وبصير، وعليم، وقدير، وعلي، وحكيم، وحليم، وهو كثير، وكذلك فعول، كغفور، وشكور، وصبور.

وأما الحميد: فلم يأت إلا بمعنى المحمـود، وهو أبلغ من المحمـود؛ فإن فعيلاً إذا عدل به عـن مفعول، دل على أن تلـك الصفة قد صارت مثـل السـجية الغريزية والخلق اللازم.

فالحميـد: الـذي لـه مـن الصفات، وأسـباب الحمد ما يقتضـي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد

في نفسه، والمحمود، من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجد، والكبير والمكبر، والعظيم والمعظم، والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء، والمحبة للمحمود، فمن أحببته، ولم تثن عليه؛ لم تكن حامداً له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما، ولم تحبه؛ لم تكن حامداً له حتى تكون مثنيًا عليه محبًا، وهذا الثناء، والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان، إلى الغير؛ فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل؛ كان الحمد، والحب أتم وأعظم، والله -سبحانه- له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحق بكل حمد وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سبحانه.

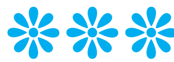
وأما المجد: فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دال على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: «لا إله إلا الله، والله أكبر» فلا إله إلا الله دال على ألوهيته وتفرده فيها فألوهيته تستلزم محبته التامة «والله أكبر» دال على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده، وتعظيمه، وتكبيره، ولهذا؛ يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً كقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة هود، الآيات ٧٣]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الرحمن، الآيات ٧٨]، وفي «المسند» و«صحيح أبي حاتم»، وغيره من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام**»، يعني: الزموها، وتعلقوا بها؛ فالجلال والإكرام هو الحمد والمجد.

فذكـر هذين الإسـمين «الحميـد المجيـد»، عقيب الصلاة علـى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلـى آله مطابـق لقولـه: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ [سورة هود، الآيات ٧٣].

ولما كانت الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ثناء الله تعالـى عليه وتكريمه، والتنويه به ورفـع ذكره، وزيادة حبه، وتقريبـه، كمـا تقدم؛ كانت مشـتملة على الحمـد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد، هذا حقيقتهـا، فذكر في هذا المطلوب الاسـمين المناسـبين لـه، وهما أسـماء الحميد و المجيد، وهذا أن الداعي يشـرع لـه أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه، أو يفتتح دعاءه به. وهذا من باب قولـه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ فلما كان المطلوب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمـداً ومجـداً بصـلاة الله عليه؛ ختم هذا السـؤال باسـمي «الحميد والمجيد».

وأيضــًا فإنــه لـمّـا كان المطلوب للرســول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمـداً ومجـداً، وكان ذلك حاصلاً لـه ختـم ذلك بالإخبار عن ثبوت ذينك الوصفين للرب عَزَّوَجَلَّ بطريق الأولى، وكل كمال في العبد غير مستلزم للنقص فالرب أحق به.

وأيضــًا فإنــه لـمّـا طلــب للرســول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحمد والمجـد بالصلاة عليه-وذلك يسـتلزم الثناء على مرسـله بالحمـد والمجـد-؛ ليكـون هـذا الدعاء متضمنـًا لطلب الحمـد، والمجـد لرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإخبـار عن ثبوته للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



الفصل التاسع

في ذكر قاعدة في هذه الدعوات والأذكار التي رويت بألفاظ مختلفة؛ كأنواع الاستفتاحات، وأنواع التشهدات في الصلاة، وأنواع الأدعية التي اختلفت ألفاظها، وأنواع الأذكار بعد الاعتدالين من الركوع والسجود.

ومنه: هذه الألفاظ التي رويت في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالداعي إذا قال: «ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً» مرة، ومرة قال: «كبيراً» جاز ذلك.

وكذلك الداعي إذا صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظ هذا الحديث، ومرة باللفظ الآخر.

وكذلك إذا تشهد، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود، وإن شاء تشهد بتشهد ابن عباس، وإن شاء بتشهد عمر، وإن شاء بتشهد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وكذلك في الاستفتاح إن شاء استفتح بحديث علي، وإن شاء بحديث أبي هريرة، وإن شاء باستفتاح عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وإن شاء فعل هذا مرة، وهذا مرة، وهذا مرة.

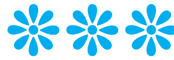
وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع، إن شاء قال: «اللهم ربنا لك الحمد»، وإن شاء قال: «ربنا لك الحمد»، وإن شاء قال: «ربنا ولك الحمد»، ولا يستحب له أن يجمع بين ذلك كله.

وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي - رحمه الله تعالى - على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب «الصحيح» و«السنن» وغيرهم عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

(أنزل القرآن على سبعة أحرف)[1]. فجوز النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف، وأخبر

(١) متفق عليه.

أنه: «شاف كاف»[١] ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع، كما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفعلون.



(١) أخرجه أحمد وأبوداود والنسائي، وإسناده صحيح.

الباب الثالث

في مواطن الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي يتأكد طلبها إما وجوباً وإما استحباباً مؤكداً

۞ الموطن الأول: وهو أهمها وآكدها في الصلاة في آخر التشهد:

وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، واختلفوا في وجوبه فيها.

فالشافعي رحمه الله يرى الوجوب، وقد قال بقوله جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم، فمنهم عبدالله بن مسعود، فإنه كان يراها واجبة في الصلاة ويقول: «لا صلاة لمن لم يصل فيها على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ومنهم: أبو مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «ما أرى أن صلاة لي تمت، حتى أصلي على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم». ومنهم عبدالله بن عمر أنه قال: «لا تكون صلاة إلا بقراءة، وتشهد، وصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن

نسيت شيئاً من ذلك؛ فاسجد سجدتين بعد السلام»، ومن التابعين: أبو جعفر بن علي، والشعبي، ومقاتل بن حيان، ومن أرباب المذاهب المتبوعين: إسحاق بن راهوية قال: «إن تركها عمداً لم تصح صلاته، وإن تركها سهواً، رجوت أن تجزئه»، وأما الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: «كنت أتهيب ذلك، ثم تبينت، فإذا الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة» وظاهر هذا: أنه رجع عن قوله بعدم الوجوب.

۞ أدلتنا على الوجوب:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

[سورة الأحزاب، الآية ٥٦].

ووجه الدلالة: أن الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمره المطلق على الوجوب، ما لم يقم دليل على خلافه.

وقد ثبت أن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها، فقال: (قولوا: اللهم صل على محمد) الحديث، وقد ثبت أن السلام الذي عُلِّمُوه هو السلام عليه في الصلاة. و هو سلام التشهد، فمخرج الأمرين والتعليمين والمحلين واحد.

الدليل الثاني: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول ذلك في التشهد، وأمرنا أن نصلي كصلاته، وهذا يدل على وجوب فعل ما فعل في الصلاة إلا ما خصه الدليل.

الدليل الثالث: أنه قد ثبت وجوبها عن ابن مسعود، وابن عمر، وأبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تقدم ذلك، ولم يحفظ عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه قال: لا تجب، وقول الصحابي إذا لم يخالفه غيره حجة، ولا سيما على أصول أهل المدينة والعراق.

الدليل الرابع: أن هذا عمل الناس من عهد نبيهم

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الآن، ولو كان الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير واجبة؛ لم يكن اتفاق الأمة في سائر الأمصار والأعصار على قولها في التشهد وترك الإخلال بها، وقد قال مقاتل بن حيان في «تفسيره» في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٥]: «إقامتها: المحافظة عليها، وعلى أوقاتها، والقيام فيها، والركوع، والسجود، والتشهد، والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد الأخير». وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «الناس في التفسير عيال على مقاتل».

۞ الموطن الثاني: في التشهد الأول:

وهذا قد اختلف فيه قال أحمد، وأبو حنيفة، ومالك؛ رحمهم الله تعالى، وغيرهم: ليس التشهد الأول بمحل لذلك، وهو القديم من قولي الشافعي رحمه الله تعالى، وهو الذي صححه كثير من أصحابه لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع.

ولـم يثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يفعل ذلك فيه، ولا علمه للأمة، ولا يعرف أن أحداً من الصحابة استحبه، ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة في هذا الموضع؛ لاستحب فيه الصلاة على آلـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه، بل أمرهم بالصلاة عليـه وعلى آله في الصـلاة وغيرها ولأنه لـو كانت الصلاة عليـه في هذا الموضع مشـروعة؛ لشـرع فيها ذكـر إبراهيم وآل إبراهيـم، لأنها هي صفـة الصلاة المأمور بها، ولأنها لو شـرعت في هذا الموضع لشـرع فيه الدعـاء بعدها لحديث فضالة، ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير.

الموطن الثالث: الصلاة عليه آخر القنوت:

استـحبه الشـافعي ومن وافقه، واحتج لذلـك بما رواه النسـائي، عـن الحسـن ابن علي قـال: علمني رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هـؤلاء الكلمـات في الوتـر، قال: (قـل: اللهم

اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطيت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلى الله على النبي)[1] وهذا إنما هو في قنوت الوتر، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياساً كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر. وهو مستحب في قنوت رمضان؛ قال ابن وهب: إن عبدالرحمن بن عبدالقاري - وكان في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع عبدالله بن الأرقم على بيت المال-، قال: إن عمر خرج ليلة في رمضان، فخرج معه عبدالرحمن بن عبدالقاري، فطاف في المسجد، وأهل المسجد أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والله إني لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل، ثم عزم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على ذلك، وأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان،

(١) سبق تخريجه ص٦٧.

فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» -يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله- وقال: «وكانوا يلعنون الكفرة في النصف يقولون: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين كلمتهم، وألق في قلوبهم الرعب، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق» ثم يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يدعو للمسلمين بما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين، قال: وكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفرة وصلاته على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستغفاره للمؤمنين والمؤمنات ومسألته: «اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخاف عذابك، إن عذابك الجد لمن عاديت مُلْحِق»، ثم يكبر ويهوي ساجداً(١).

(١) صحيح أخرجه البخاري وابن خزيمة والبيهقي.

۞ الموطن الرابع: صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية:

لا خلاف في مشروعيتها فيها، والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة ما رواه الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب قال: «إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة، ثم يسلم في نفسه»(١) وقال صاحب «المغني»: وروي عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر، ثم قرأ وجهر، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دعا لصاحبه فأحسن، ثم انصرف، وقال: «هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة»، إذا تقرر هذا؛ فالمستحب أن يصلى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنازة كما يصلى عليه في التشهد، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم ذلك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لما سألوه

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، قال ابن حجر في فتح الباري: إسناده صحيح (٣/ ٢٠٣).

عن كيفية الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي «مسائل عبدالله بن أحمد»، عن أبيه قال: «يصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصلى على الملائكة المقربين».

قال القاضي: فيقول: «اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السماوات والأرضين، إنك على كل شيء قدير».

۞ الموطن الخامس: الخطب كخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، وغيرها:

وقد روى أبو داود، وأحمد، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**كل خطبة ليس فيها تشهد؛ فهي كاليد الجذماء**»[1]. أي: المقطوعة.

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخطبة، ما رواه عبدالله ابن أحمد عن عون بن أبي

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب (٣/ ٤١٤)، الحديث [١١٠٦]، وصححه ابن حبان (٧/ ٣٦) الحديث [٢٧٩٦].

جحيفة قال: كان أبي من شُرَط علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان تحت المنبر، فحدثني أنه صعد المنبر - يعني علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والثاني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وقال: «يجعل الله الخير حيث شاء»(١).

وفي الباب حديث ضبَّة بن مِحْصِن أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأنكر عليه ضبة الدعاء لعمر قبل الدعاء لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فرفع ذلك إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال لضبة: «أنت أوفق منه وأرشد»(٢).

فهذا دليل على أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخطب كان أمراً مشهوراً معروفاً عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. وكيف لا يجب التشهد الذي هو عقد الإسلام

---

(١) صححه الألباني في: ظلال الجنة في تخريج السنة (٢/ ٣٤٦) الحديث [١٢٠١].

(٢) تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق، تأليف أبي القاسم المقدسي (١/ ١٢٦)، الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (١/ ٤٥٢).

في الخطبة، وهــو أفضل كلماتها، وتجب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها؟

الموطن السادس: بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة:

لمــا روى مســلم في «صحيحــه» من حديــث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنه ســمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشــراً، ثم ســلوا الله لي الوســيلة، فإنها منزلة في الجنــة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن ســأل الله لي الوســيلة؛ حلت عليه شفاعتي**).

وفي إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اشتمل حديث عبدالله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على ثلاث من هذه السنن الخمس.

وأما الرابعة فهي أن يقول ما رواه مســلم، عن ســعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**من قال**

حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا، إلا غفر له ذنبه).

والخامسة: أن يدعو الله بعد إجابة المؤذن وصلاته على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسؤاله له الوسيلة، لما في سنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن المؤذنين يَفْضُلُوننا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قل كما يقولون، فإذا انتهيت، فَسَلْ تُعْطَهْ)[1].

۞ الموطن السابع: عند الدعاء:

وله ثلاث مراتب:

إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء، وبعد حمد الله تعالى.

(١) أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ١٤٩) الحديث [٦٧٣].

والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطه بينهما.

لحديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: **(إذا دعا أحدكم؛ فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم لِيُصَلِّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ليدع بعد بما شاء)**[١].

وقال الترمذي عن عبدالله قال: كنت أصلي والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست؛ بدأت بالثناء على الله تعالى، ثم بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(سل تعطه سل تعطه)**[٢].

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الترمذي، الحديث [٣٤٧٧].

(٢) قال الترمذي: حديث حسن صحيح. سنن الترمذي (٢/ ٤٨٨) الحديث [٥٩٣].

والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدعاء بمنزلة الفاتحة من الصلاة. فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أن مفتاح الصلاة الطهور، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

۞ الموطن الثامن: عند دخول المسجد وعند الخروج منه:

لما روى ابن خزيمة في «صحيحه» وابن حبان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(إذا دخل أحدكم المسجد؛ فليسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج؛ فليسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم)**.

۞ الموطن التاسع: على الصفا والمروة:

لما روي أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يكبر على الصفا ثلاثًا، يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يدعو، ويطيل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة مثل ذلك»[١] وهذا من توابع الدعاء أيضًا.

الموطن العاشر: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم:

لحديث (**ما جلس قوم مجلسًا، ثم تفرقوا ولم يذكروا الله، ولم يصلوا على النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا كان عليهم من الله ترة، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم**). رواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، وغيرهما.

الموطن الحادي عشر: عند ذكره صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**رغم أنفُ رجل ذُكرتُ عنده، فلم يُصلِّ عليَّ**)، صححه الحاكم، وحسنه الترمذي.

وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من ذكرت عنده فَلْيُصَلِّ عليَّ، فإنه من صلى**

---

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة وغيره.

عليَّ مرة؛ صلى الله عليه عشراً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا إسناد صحيح[1].

الموطن الثاني عشر: عند الوقوف على قبره:

عن مالك، عن عبدالله بن دينار قال: رأيت عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقف على قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيصلي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدعو لأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ذكره مالك في «الموطأ»[2].

الموطن الثالث عشر: إذا خرج إلى السوق، أو إلى دعوة أو نحوها:

عن أبي وائل قال: «ما رأيت عبدالله جلس في مأدبة ولا جنازة ولا غير ذلك، فيقوم حتى يحمد الله، ويثني عليه، ويصلي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدعو بدعوات، وإن كان يخرج إلى السوق فيأتي أغفلها مكانًا، فيجلس، فيحمد الله، ويصلي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدعو بدعوات»[3].

---

(١) النسائي (٩٨٨٩)، والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. الحديث [٤٩٤٨].

(٢) إسناده صحيح موقوف. قاله الألباني رحمه الله في فضل الصلاة على النبي (١/ ٨٠) [٩٨].

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وغيره بإسناد صحيح (٦/ ١٠٢) [٢٩٨١٠].

۞ الموطن الرابع عشر: إذا قام الرجل من نوم الليل:

قال النسائي في «سننه الكبير»: عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «يضحك الله عَزَّوَجَلَّ إلى رجلين؛ رجل لقي العدو وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه، فانهزموا، وثبت، فإن قتل؛ استشهد، وإن بقي؛ فذلك الذي يضحك الله إليه، ورجل قام في جوف الليل لا يعلم به أحد، فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم حمد الله ومجده وصلى على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، واستفتح القرآن؛ فذلك الذي يضحك الله إليه، يقول: انظروا إلى عبدي قائماً لا يراه أحد غيري»(١).

۞ الموطن الخامس عشر: عقب ختم القرآن:

وهذا لأن المحل محل دعاء، وقد نص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الدعاء عقيب الختمة، فقال في رواية أبي الحارث: «كان أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إذا ختم القرآن، جمع أهله وولده»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن (٩/ ١٥٩) [٨٧٩٨].

(٢) قال ابن حجر: والصحيح الموقوف عن أنس، وصححه موقوفاً الألباني رحمه الله.

وعن ابن مسعود أنه قال: «من ختم القرآن فله دعوة مستجابة»[1].

وعن مجاهد قال: «تنزل الرحمة عند ختم القرآن»[2].

وإذا كان هذا من آكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة؛ فهو من آكد مواطن الصلاة على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الموطن السادس عشر: يوم الجمعة:

عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة، فإنه ليس أحد يصلي عليَّ يوم الجمعة، إلا عرضت عليَّ صلاته)[3].

الموطن السابع عشر: عند كتابة اسمه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقال سفيان الثوري: (لو لم يكن لصاحب الحديث فائدةٌ إلا الصلاة على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) صحيح، أخرجه الحاكم وغيره.

۞ الموطن الثامن عشر: عند الهم، والشدائد، وطلب المغفرة:

لحديث الطفيل بن أُبيّ بن كعب، عن أبيه قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: **(يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه)**. قال أبيٌّ: قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: **(ما شئت)**، قال: قلت: الربع؟ قال: **(ما شئت، فإن زدت؛ فهو خير لك)**، قلت: النصف؟ قال: **(ما شئت، فإن زدت؛ فهو خير لك)**، قال: قلت فالثلثين؟ قال: **(ما شئت، فإن زدت؛ فهو خير لك)**، قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: **(إذاً تُكْفَى همك، ويغفر لك ذنبك)**. رواه الترمذي من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل، عن أبيه، وقال: «حديث حسن».

۞ الموطن التاسع عشر: عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص، وإلقاء الدرس وتعليم العلم، في أول ذلك وآخره:

قال إسماعيل بن إسحاق في «كتابه»: كتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «أما بعد، فإن أُناسًا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن من القُصَّاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عِدْلَ صلاتهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا جاءك كتابي هذا؛ فَمُرْهُم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة، ويَدَعُوا ما سوى ذلك».

والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموطن؛ لأنه موطن لتبليغ العلم الذي جاء به ونشره في أمته وإلقائه إليهم، ودعوتهم إلى سنته وطريقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا من أفضل الأعمال، وأعظمها نفعًا للعبد في الدنيا والآخرة.

فحقيق بالمبلغ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أقامه الله

في هذا المقام أن يفتتح كلامه بحمد الله تعالى، والثناء عليه، وتمجيده، والاعتراف لـه بالوحدانية، وتعريف حقوقه على العبـاد، ثـم بالصلاة على رسـول الله صلـى الله تعالى عليه وسـلم وتمجيـده، والثناء عليه، وأن يختمـه أيضـًا بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليمـًا.

۞ الموطن العشرون: أول النهار وآخره:

عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (مـن صلى عليَّ حين يصبح عشـراً، وحين يمســي عشـراً أدركته شفاعتي يوم القيامة)[1].

۞ الموطن الحادي والعشرون: بعد الفراغ من الوضوء:

عن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إذا فرغ أحدكم من طهوره؛ فليقل: أشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم ليصل عليَّ، فإذا قال ذلك؛ فتحت له أبواب الرحمة).

(١) حديث حسن، صحيح الجامع «٦٣٥٧».

هـذا حديث مشـهور لـه طرق عـن عمر بـن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعقبـة بن عامر، وثوبـان، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ليس في شيء منها ذكر الصلاة إلا في هذه الرواية.

۞ الموطن الثاني والعشرون: في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله تعالى:

لحديـث أبـي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (إن لله سـيّارة من الملائكة إذا مـرُّوا بحِلَق الذِّكر؛ قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعا القوم؛ أمَّنوا على دعائهم، فـإذا صلـوا علـى النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ صلـوا معهـم، حتى يفرغوا، ثم يقـول بعضهم لبعض: طوبـى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم). وأصل الحديث في مسلم.

۞ الموطن الثالث والعشرون: عند الحاجة تعرض للعبد:

عـن ابن مسـعود قـال: «إذا أردت أن تسـأل الله حاجة؛ فابدأ بالمدحة والتحميد والثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ بما هو أهله، ثم صل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ادع بعد، فإن ذلك أحرى

أن تصيب حاجتك»[1].

۞ الموطن الرابع والعشرون: في الصلاة في غير التشهد:

بل في حال القراءة إذا مر بذكره أو بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية، ذكره أصحابنا وغيرهم، قالوا: متى مر بذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القراءة؛ وقف وصلى عليه.

عن الحسن قال: «إذا مر بالصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليقف، وليُصَلِّ عليه في التطوع».

ونص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على ذلك فقال: «إذا مر المصلي بآية فيها ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كان في نفل؛ صلى عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

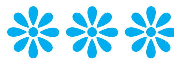
۞ الموطن الخامس والعشرون: أثناء تكبيرات صلاة العيد:

فإنه يستحب أن يحمد الله، ويثني عليه ويصلي على

(١) صحيح، أخرجه عبدالرزاق والطبراني وغيرهما.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما روي أن ابن مسعود، وأبا موسى، وحذيفه خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد بيوم فقال لهم: «إن هذا العيد قد دنا، فكيف التكبير فيه؟ قال عبدالله: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ وتحمد ربك، وتصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع. فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبدالرحمن»[(١)].

وفي هذا الحديث: حمد الله، والصلاة على رسوله بين التكبيرات، وهو مذهب الشافعي وأحمد.



(١) رواه البيهقي بإسناد حسن، سنن البيهقي الكبرى (٣/ ٢٩١) الحديث [٥٩٨١].

الباب الرابع

في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الأولى: امتثال أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف، كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين عَزَّوَجَلَّ، وكان موقوفًا بين السماء والأرض قبلها.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

الرابعة عشرة: أنها سبب لرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

الخامسة عشرة: أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

السادسة عشرة: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

السابعة عشرة: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثامنة عشرة: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحمد الله ويثني عليه فيه، ويصلي على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التاسعة عشرة: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدىء بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العشرون: أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

الحادية والعشرون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض، لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الثانية والعشرون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربه أن

يبارك عليه، وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثالثة والعشرون: أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة -كما قاله طائفة-، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الرابعة والعشرون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها.

وفي هذا الجناب الأشرف أحق ما أنشد:

ذِكْـرُكَ والتَّوحيدُ في شطره
لو شُقَّ عن قَلْبي ففي وَسْطِهِ

فهذا قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر

للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك لا حياة له إلا به.

وهو أنواع:

* **الأول:** ذكره بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها.

* **الثاني:** تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله وتمجيده وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين.

* **الثالث:** ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه، وهو ذِكْر العَالِم.

بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم لربهم، ومن أفضل ذكره؛ ذكره بكلامه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، ومن ذكره سبحانه دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه، فهذه خمسة أنواع من الذكر.

الخامسة والعشرون: أن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببًا لزيادة محبة المصلَّى عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه.

السادسة والعشرون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره؛ استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطوراً في قلبه، لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة؛ ازدادت صلاته عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له، خلاف صلاة العوام عليه، الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم، وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به، فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله. وهكذا ذكر الله سبحانه كلما كان العبد به أعرف، وله أطوع، وإليه أحب، كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين.

فذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر ما جاء به وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو حياة الوجود وروحه، كما قيل:

وهُدًى لِكُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
رُوحُ المجالس ذِكْرُهُ وحديثُهُ
فأُولئِكَ الأمواتُ في الحيَّانِ
وإذا أُخِلَّ بِذِكْرِهِ في مَجْلِسٍ

السابعة والعشرون: أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكره عنده.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه، لحديث عبدالرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه: «ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ، فأقامته على قدميه

وأنقذته»[1].

التاسعة والعشرون: أن الصلاة عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله تعالى بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرةً ولا إرادةً، ولكن الله سبحانه -لكرمه- رضي من عباده باليسير من شكره، وأداء حقه.

الثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله تعالى، وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله، كما عرفنا ربنا تعالى وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه، والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي

---

(١) قال المصنف في «الروح» (١/ ٣٥٦)، و«الوابل الصيب» (١٤٤): «سمعت شيخ الإسلام يعظِّم أمر هذا الحديث. وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث». وقال القرطبي في «التذكرة» (ص٢٩٣): «هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة، تنجِّي من أهوال خاصة».

متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو تعالى، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.

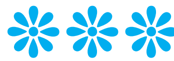
الحادية والثلاثون: أن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه تعالى نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

والثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره ورفعه. ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وههنا نكتة حسنة لمن علّم أمته دينه وما جاء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، ودعاهم إليه، وحضهم عليه، وصبر على ذلك، وهي

أن النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لـه مـن الأجر الزائد علـى أجر عمله مثل أجـور من اتبعه، فالداعي إلى سـنته ودينه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمعلم الخير للأمة إذا قصد توفير هذا الحظ على رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصرفـه إليه، وكان مقصـوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشـاد عبـاده، وتوفير أجور المطيعين له على رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع توفيتهم أجورهم كاملة، كان لـه مـن الأجـر في دعوته وتعليمه بحسـب هـذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.



الباب الخامس

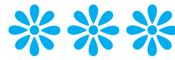
في الصلاة على غير النبي وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً

أما سائر الأنبياء والمرسلين، فَيُصلَّى عليهم ويُسلَّم، قال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠)﴾ [سورة الصافات، الآيات ٧٨-٨٠] وقال عن إبراهيم خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)﴾ [سورة الصافات، الآيات ١٠٨-١٠٩]، وقال في موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠)﴾ [سورة الصافات، الآيات ١١٩-١٢٠] وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾ [سورة الصافات، الآيات ١٣٠]، فالذي تركه سبحانه على رسله في الآخرين هو السلام عليهم المذكور.

وأما الصلاة عليهم، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا صليتم عليَّ؛ فصلوا على أنبياء

الله، فإن الله بعثهم كما بعثني»[١].

وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة، منهم: الشيخ محيي الدين النواوي وغيره.



(١) فالحديث له شواهد ومثله يصلح للاستشهاد.

فصل

وأما من سوى الأنبياء؛ فإن آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلَّى عليهم بغير خلاف بين الأمة.

فصل

وهل يصلى على آله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منفردين عنه؟

فهذه المسألة على نوعين:

أحدهما: أن يقال: «اللهم صلِّ على آل محمد» فهذا يجوز، ويكون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلاً في آله، فالإفراد عنه وقع في اللفظ، لا في المعنى.

الثاني: أن يفرد واحد منهم بالذكر، فيقال: اللهم صل على علي، أو على حسن، أو حسين، أو فاطمة، ونحو ذلك. فاختلف في ذلك، وفي الصلاة على غير آله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصحابة ومن بعدهم، فكره ذلك مالك، وقال: لم يكن

ذلـك من عمل مـن مضى، وهو مذهب أبـي حنيفة أيضـًا، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وبه قال طاوس.

عـن ابن عباس أنه قال: «لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار»[1]

وهذا مذهب عمر بن عبدالعزيز.

وفصل الخطاب في هذه المسـألة: أن الصلاة على غير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:

إما أن تكون على آله وأزواجه وذريته أو غيرهم.

فإن كان الأول: فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وجائزة مفردة.

وأما الثانـي: فـإن كان الملائكة وأهـل الطاعة عمومـًا الذيـن يدخل فيهم الأنبياء كلهم وغيرهم؛ جاز ذلك أيضـًا،

(١) إسناده صحيح، فتح الباري (٨/ ٥٣٤).

فيقال: «اللهم صل على ملائكتك المقربين، وأهل طاعتك أجمعين»، وإن كان شخصًا معينًا، أو طائفة معينة؛ كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به. ولو قيل بتحريمه لكان له وجه. ولا سيما إذا جعله شعاراً له، ومنع منه نظيره، أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث ذكروه؛ قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به، فتركه حينئذ متعين، وأما إن صلى عليه أحيانًا بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلي على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للميت: «صلى الله عليه»[1]، وكما صلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على المرأة وزوجها[2]، فهذا لا بأس به.

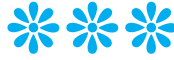
وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب، والله الموفق.

---

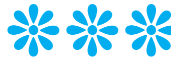
(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح، صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٧) [٩١٦].

تم الكتاب، والحمد لله الملك الوهاب، وصلى الله على سـيدنا محمد، وآله، وصحبه، وسلم تسليمـًا كثيراً إلى يوم الدين.



فهرس المحتويات




التصميم الداخلي للكتاب
Tharwat Sultan
للتواصل:
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com